الذُّهَيْبَة

obeikandl.com

obeikandl.com

الذُّهَيْبَة - ١

عن أبى سعيد رضى اللّه عنه ، قال :

بعث علىّ رضى اللّه عنه إلى النبى – صلى اللّه عليه و سلم – بِذُهَيْبَةٍ ، فقسمها بين الأربعة ، الأقرع بن حابس الحنبلىّ ثم المجاشعى ، و عُيَيْنَة بن بدر الفزارى ، وزيد الطائى ، ثم أحد بنى نَبْهان ، و علقمة بن عُلاَثة العامرى أحد بنى كلاب . فغضبت قريش و الأنصار قالوا : يعطى صناديد أهل نجد و يَدَعُنا ؟ قال : إنما أتألَّفُهم . فأقبل رجل غائرُ العينين مُشْرِفُ الوجْنتين ناتىءُ الجبين كثُّ اللحية مخْلُوقٌ ، فقال : اتق اللّه يا محمد ، فقال : من يطع اللّه إذا عصيتُ؟ أيأمننى اللّه على أهل الأرض ولا تأمنونى ؟

فسأله رجل فمنعه . فلما ولىّ قال : إنّ من ضِئْضىِ هذا – أو فى عقب هذا – قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرَّميَّة ، يقتلون أهل الإسلام ، و يدعون أهل الأوثان ، لئن أنا أدركتهم لأقتلنّهم قتل عادٍ "

(أخرجه البخارى)

....

علاقة المسلمين بالإسلام قديماً و حديثاً محور وجودهم و مستقبلهم ، و تؤثر هذه العلاقة سلباً و إيجاباً فى حاضرهم و حضارتهم . ولا أحسب تاريخهم منذ بدء الرسالة و نزول الوحى إلا استجابة لهذه العلاقة ، و نتيجة لها .

و القصة التى بين أيدينا تكشف عن هذه العلاقة فى بعض المناسبات ، و لكنها تؤكد معطياتها فى المناسبات كلّها ....

لقد بعث على بن أبى طالب – رضى الله عنه – إلى النبى- صلى الله عليه وسلم- بدُهَيْبَة و هى تصغير كلمة ذهبة ، و تعنى القطعة من الذهب ؛ وربما كانت شيئاً آخر من غنائم الحرب .

وكان على الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يقسمها بين المجاهدين مكافأة لهم على ما بذلوه و تشجيعاً ، وكأنهّا أوسمةٌ يوزعها القائد على الجند .

و قد وزّع الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذهَيْبة ، على فريق من المسلمين دون آخر .الفريق الأول يضم نفراً من الذين دخلوا الإسلام حديثاً من أهل نجد، وهم فرسان صناديد شجعان منهم الأقرع بين حابس و المجاشعى و عيينه بن بدر الفزارى وزيد الطائى ..و قد تحدثنا عن بعضهم و قصة إسلامه أو بعض مواقفه فى الإسلام في أماكم أخرى، و كان إسلامهم بصفة عامة متأخراً وارتبط بمواقف معينة.

الفريق الآخر يضم المسلمين المجاهدين من قريش و الأنصار. و هؤلاء لم يكن لهم نصيب من الدُّهيْبة و غضبوا لحرمانهم منها ، و تساءلوا بما يشبه الإنكار : يعطى صناديد نجد و يدعنا ؟

والتساؤل كما نرى فيه اعتراف بأهمية أهل نجد الذين أعطاهم الرسول - صلى الله عليه و سلم- و قسم بينهم الدُهَيبْة:فقد وصفهم المسلمون من قريش والأنصار بأنهم " **صناديد**" أى سادة شجعان ، و معنى ذلك أن لهم وجوداً مؤثراً فى قومهم ، يسمعون لكلامهم ، و ينفذون إرادتهم ، و يمضون وراءهم ، وفقاً للنظام القبلى السائد فى بيئتهم البدوية أو الصحراوية الصعبة. و هذا يفسّر سبب اختصاصهم بالقسمة من جانب الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد رأى – وفقاً لردّه على المعترضين على التقسيم – أن يتألفهم و يكسبهم إلى جانب الإسلام، و يُثبّت قلوبهم حتى يتمكن منها الدين الحنيف ..فقد كانوا حديثى عهد بالإسلام ، لم يتعمقوا فيه ،

و لم يستوعبوا منهجه استيعاباً كاملاً،أو لم يدخل إلى قلوبهم تماماً. لذا كانت إجابة الرسول-صلى اللّه عليه وسلم- قاطعة وواضحة: " **إنما أتألّفهم** ".

وتأليف القلوب أمر شرّعه الإسلام فى القرآن الكريم ، و جعل المؤلفة قلوبُهم مصرفاً من مصارف الزكاة ، أو جعلهم من مستحقى الزكاة، و قد جاء القرآن الكريم و بيّن مصارف الزكاة و منها المؤلفةُ قلوبُهم فى قوله تعالى :-

"إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (سورة التوبة الآية ٦٠)

و قد كان تأليف القلوب فى صدر الإسلام أمراً حيويّاً بالنسبة للدعوة و للدولة الإسلامية الوليدة لأنه يسند دعائمها، و يثبت أركانها، و يمنعها من التعرّض للهزّات والتفتّت ، و خاصة إذا كان للمؤلفة قلوبهم تأثير و أتباع كثيرون ..فتأليف الزعماء والرؤساء و السادة من صناديد نجد و غيرها ، يعنى بالضرورة تأليف هؤلاء الأتباع وضمان عدم تمردّهم حتى يفقهوا الدين فقها شاملاً ، و تتشربه قلوبهم و أفئدتهم ، ثم يتحركون من أجل الإسلام وفقاً لبواعث داخلية و إيمانية .

ثم إن عملية التوزيع التى قام بها النبى – صلى اللّه عليه و سلم – تأليفاً للقلوب تكشف عن جانب آخر من النفس البشرية التى تقدم " **الأنا**" على " **الأخر**" أو " **الذات**" على " **الغير**" ، فكل إنسان يحب نفسه أولاً ، و يتمنى لها الحصول على ما تريد قبل غيرها ، و قد ورد فى القرآن الكريم وصفُ الإنسان :

" وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" (سورة العاديات الآية ٨)

و الخير هو المال و ما يشبهه من مقومات الحياة المادية ، و بالتأكيد ، فإن غضب قريش و الأنصار كان سببه الأول هو حب الخير ، الذى أخطأهم كما تصوروا،

وتجاوزهم إلى غيرهم من حديثى العهد بالإسلام ، بينما هم لها سوابق عديدة تعزّز مكانتهم فى الإستحقاق ، فقد هاجروا إلى الحبشة و المدينة من قبل وتحملوا العناء والمشقات فى مكة على أيدى المشركين ، ثم إنهم قاتلوا فى الغزوات و خرجوا فى السرايا ...و يرون أنهم يستحقون نصيباً من الدُهيبْة .

الدُّهَيْبَة -٢

رأينا فى حديث أبى سعيد – رضى اللّه عنه – أن قريشا و الأنصار قد غضبوا لأن الرسول – صلى اللّه عليه و سلم – لم يقسم لهم من الدُهَيبْة ، و خصَّ بها نفراً من صناديد نجد و فرسانها – وكان تفسير الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – لما فعله أنه يؤلف قلوب هؤلاء الصناديد ..ولكن رجلاً خرج من بينهم ليقول: اتق اللّه يا محمد ..

و نكمل فيما يلى أحداث القصة النبوية .

....

لقد كان غضب قريش و الأنصار نابعاً من نزعة إنسانية فطرية تحب لنفسها أولاً الخير ، ثم إن قريشاً و الأنصار لهم سوابق فى الإسلام تجعلهم أحق بهذا الخير قبل غيرهم ومع أن الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – أخبرهم أنه فعل ذلك ليؤلّف قلوب صناديد أهل نجد ؛ فإن بعضهم لم يقتنع بما قاله النبى الكريم عليه الصلاة و السلام ، و خرج من بينهم رجل يبدو ومن هيئته أنه أقلهُّم شأنا ، فهو كما يصفه راوى الحديث " غائر العينين مشرفُ الوجنتين ناتىء الجبين كثُّ اللحية مخلوق " أى إن ملامح وجهه بارزة فى غير اتساق ، و هيئته تدل على تواضعه ، ولكنه وجد فى نفسه الجرأة ليقول :

"اتقّ الله يا محّمد"

وهذا القول يعنى ضمناً أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – قد ظلمه و ظلم أصحابه وإذا عرفنا أن النبى لا ينطق عن الهوى ، ولا يفعل إلا ما يؤمر به ، من خلال الوحى أو الإلهام الإلهى ، فإنه لن يظلم هذا الشخص أو غيره ..

بيد أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يستقبل قول الرجل بهدوء ، و يسأله قائلاً: من يطع الله إذا عصيتُ ؟ أيأمننى الله على أهل الأرض و لا تأمنونى؟

و السؤال فى جزئه الأول يقوم على الإقناع الهادىء البسيط : من يطع الله إذا عصيت؟

أى من هو الذى يمكنه أن يطيع ربّه و يستجيب لأوامره و نواهيه ، إذا كان النبى المعصوم – عليه الصلاة و السلام – يخالفه و يظلم أصحابه ؟

إن السؤال الهادىء البسيط، يحمل فى طياته نوعاً من اللوم والتقريع والإنكار لمن قال لنبيه المعصوم – صلى الله عليه وسلم : اتق الله يا محمد .

و الجزء الثانى من السؤال : يحمل استنكاراً مباشراً للقوم ، وليس للرجل الذى نطق بمقولة : اتق الله يا محمد .

الجزء الثانى يحمل الاستنكار المباشر فإنه يتضمن إقناعاً منطقياً : أيأمننى الله على أهل الأرض ولا تأمنونى ؟

و هذا الإقناع المنطقى يخاطب العقل ، بعد أن خاطب الجزء الأول من السؤال الوجدان و العاطفة " **من يطع الله إذا عصيت ؟**"

إن الحق سبحانه يأمن نبيه – صلى الله عليه وسلم - على تبليغ رسالته إلى أهل الأرض جميعاً فيقدّم لهم القرآن الكريم و الهدى النبوىّ، فيستمعون إليه ويهتدون به و يصدقونه فيما كل ما يأتى به من عند الله ..فإذا كان الحق سبحانه يأمنه على أهل الأرض ، فلماذا أنتم يا أصحابى لا تأمنونى و تغضبون على لأنى اختصصتُ

قوماً بالدُهّيَبْة دونكم؟ لقد خرجتم على منهج الطاعة الذى رسّخه الإسلام فى التلقى عن المشرّع الأكبر والنبى الأعظم – صلى الله عليه وسلم .

منهج الطاعة ، هو استقبال أمر الله بالرضا والقبول والتنفيذ ، لأنه يقوم على الإيمان الحقيقى بالدين والتوحيد ، والوحى ، والنبى – صلى الله عليه وسلم – والخروج على هذا المنهج هو تمرد على الإيمان بالدرجة الأولى ، أو خلل فى الاعتقاد ، يؤكد ذلك أن رجلاً بعد أن دافع النبّى – صلى الله عليه وسلم – عن نفسه ، ذهب إليه وطلب منه أن يقْسم له . وكأنّ الرجل لم يقتنع أو لم يسمع ما قيل حول عملية التقسيم أو التوزيع وأنه أمر له غاية و هدف، لذا فقد قال الرسول-صلى الله عليه وسلم- "إن من ضئضىء هذا – أو فى عقب هذا – قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرَّميّة ، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان ، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد".

الإيمان يرتبط بفهم القرآن والعمل به ، أما مجّردُ القراءة والتلاوة دون فهم أو تطبيق فإنه يعنى أن الأمر يمثل خللاً خطيراً فى العقيدة يستوجب التوقف والتساؤل ، لأن القوم كما عبر الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام "يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم " أى لا يذهب إلى حيز التنفيذ والتطبيق أى مجرّد كلام فى الهواء لا تأثير له أو تأثرّ به ، وهذا سلوك نفاقى لا يقرّه الإسلام ، الذى لا يرغم أحداً على قبوله ، ولكنه فى الوقت نفسه يرفض أن يتخذه البعض غطاءً أو راية لا مدلول لها ..و هذا البعض فى كل الأحوال يمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمّيّة ، أى يخرج من الدين بسرعة السهم ، أو بسهولة مروق السهم من الطريدة المطلوبة للصيد ، وهنا يكمن الخطر على الدين . إنه قتل لأهله وإحياء لعبّاد الأوثان ..

والدليل على خطورة هذا البعض أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – توعدهم لو أدركهم بالقتل و القضاء عليهم قضاء مبرماً بحيث لا يبقى لهم أثر، كما حُكم على عاد بالإبادة التامة .

" فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ" (سورة الحاقة الآية ٨)

أى لم يبق لهم وجود ، مما يدلّل على خطورة هؤلاء المنافقين الذين يظهرون الإسلام و لا يعملون به ، و يقرءون القرآن و لا يجاوز حناجرهم ، و يقتلون المسلمين و يدعون الكافرين ، إنهم خارجون عن طاعة الله و طاعة رسوله–صلى الله عليه وسلم.

obeikandl.com

أبواب الرحمة

obeikandl.com

obeikandl.com

أبواب الرحمة - ١

عن أبى سعيد الخدرى - رضى اللّه عنه - أن نبى اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - قال :

" كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة و تسعين نفْساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فَدُلَّ على راهب فأتاه ، فقال: إنه قتل تسعة و تسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال : لا ، فقتله فكمّل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فَدُلَّ على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟

فقال : نعم ، و من يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا و كذا ، فإن بها أناساً يعبدون اللّه تعالى فاعبد اللّه معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سَوْء، فانطلق حتى إذا نِصفَ الطريق أتاهُ الموتُ؛ فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب .

فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى اللّه تعالى ، و قالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط ..." **(متفق عليه)**

....

يتعّرض المسلم فى حياته اليومية و الإنسانية إلى أخطاء أو تقصير فى حق نفسه أو ربه أو مجتمعه ، مما يترتب عليه أن يتحمّل ذنوباً تحسب فى صفحة سيئاته و يحاسب عليها فى الدنيا أو الآخرة ، و لأن الإسلام حريص على بناء المسلم و تصفية هذا البناء من عوامل الضعف و الخلل فقد شرع التوبة ، و هى الرجوع إلى الحق و التخلص من الذنب و إعادة الحقوق إلى أصحابها أو طلب العفو و التسامح معهم.

و التوبة واجبة بنص القرآن الكريم و السنة المطهرة ، و إجماع الأمة .

قال تعالى :-

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ ....." **(سورة التحريم من الآية ٨)**

وقال تعالى : -

"...وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ" (سورة النور من الآية٣١)

وعن أبى هريرة رضى اللّه عنه ، قال : سمعت رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – يقول : " **والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة** "**وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–** "**للهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلّه فى أرضٍ فلاة**".

التوبة إذا واجبة ، و هى مقبولة- إن شاء اللّه- إذا أخلص صاحبها فى توبته وندم على ما فرط منه ، و أعاد الحقوق إلى أصحابها أو طلب العفو منهم ، و هو ما يقتضى أن نشجع على التوبة و نخضّ الناس جميعاً عليها، و نبث فيهم الأمل حتى لا يقنطوا من رحمة اللّه، ولا يستسلموا للذنوب و المعاصى و الشرّ، و تتطهر نفوسهم من الشوائب والأدران، و يُقبلوا على الحياة ِ برُوح طيبة قوية تعمل لصالح صاحبها و صالح الناس أجمعين . أما الذين يغلقون أبواب التوبة، و ينشرون اليأس والإحباط فإنهم يخالفون المنهج الإسلامى الذى يقوم على الرحمة و فتح أبواب الأمل ليجدد الإنسان نفسه ، و يبدأ من جديد حياة كريمة طيبة، تبث الخير، و تنشر النور فى كل مكان .

والقصّة التى يتضمنها الحديث الذى بين أيدينا تقدم لنا مثالاً عمليا، يكشف الفارق بين نوعين من العلماء ، الأول يغلق أبواب الرحمة و الأمل أمام الراغبين فى التوبة ، و الأخر يفتحها و يساعد عليها .

و يحكى الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – قصة رجل من الأقوام السابقة ارتكب ذنوباً كبيرة ، تنوء بها الجبال ، فقد قتل تسعة و تسعين نفساً ، أى رجلاً و امرأة ، و أراد أن يتوب ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدلوّه على " راهب " ، أى عالم دين منقطع للعبادة والمعرفة وفق ما كان سائداً فى الأزمنة القديمة ، فذهب

إليه ، ووصل عنده و حكى له أنه قتل تسعا و تسعين نفسا فهل له من توبة ؟ و لكن الراهب أجابه بالإجابة الصادمة المانعة و هى نفى التوبة ، أى لا توبة له ..

كان منطلق الراهب أن القتل جريمة عظمى ، و فى القرآن الكريم أن من قتل نفسا بغير نفس ، فكأنما قتل الناس جميعاً .

قال تعالى :-

"مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ....." **(سورة المائدة من الآية ٣٢)**

هذا المنطلق هو الذى دفع الراهب إلى سدّ أبواب الأمل فى رحمة الله ، أمام الرجل الذى قتل تسعاً و تسعين نفساً ، فما كان من الرجل إلا أن قام بقتل الراهب أيضاً ، و أكمل به مائة نفس قتلها ، بعد أن يئس من قبول توبته ..

ولأن الرجل كان راغباً فى التوبة الحقيقية ، فقد واصل البحث عن عالم آخر أكثر علماً من الراهب الذى قتله و أكمل به المائة ، فدلّوه على رجل عالم ، ولا نعلم له فى الحديث الشريف صفة أخرى غير صفة العلم وحدها ، فهو ليس راهباً أو حبراً أو نحو ذلك ، و كانت إجابته مبشرة ، حيث فتح أبواب الأمل أمام الرجل القاتل ، و أفاد أن التوبة تقبل منه ..ثم تساءل : من الذى يقف أو يحول أو يمنع الرجل من التوبة ؟

بل إنه لم يكتف بذلك ، ووجه الرجل إلى أرض طيبة بها أناس يعبدون الله ، وأوصاه أن يعبد الله معهم ، ولا يرجع إلى أرضه ، لأنها أرضُ سَوْء ، و كأن هذا العالم يشير بطريقة و أخرى إلى طبيعة البيئة التى يعيش فيه الإنسان و يتربى، فإن كانت صالحة أنشأت إنساناً صالحاً،و إن كانت سيئة قدمت إنساناً سيئاً..وانطلق الرجل التائب إلى الأرض الجديدة ، و لكن الموت فاجأه فى الطريق !

أبواب الرحمة - ٢

فى حديث أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – اختصمت الملائكة حول التائب الذى قتل مائة نفس ، وتنازعته ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب ، و لكل منهم حجته " **فأتاهم ملك فى صورة آدمىّ:" فجعلوه بينهم :فقال : قيسوا ما بين الأرضين ؛ فإلى أيتها كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة** " .

وفى رواية ؛ فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها

" **وفى الصحيح :" فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى ، و إلى هذه أن تقربّى ، و قال: قيسوا بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فَغُفِر له** ".

....

كان الرجل المذنب الذى قتل مائة نفس ، آخرها الراهب الذى أغلق أبواب الرحمة فى وجهه ، و أخبره أنه لا توبة له ، مخلصاً فى توبته ، و بمجرد أن أخبره العالم أن توبته مقبولة – إن شاء الله – و أن لا أحد يحول بينه و بين التوبة ؛ فإنه توجه من فوره إلى البلدة الصالحة ليعيش بين أهلها الطيبين ، بعيداً عن المعاصى و الذنوب و قتل الأنفس كما جرى له فى القرية السيئة ..

و لكنه و هو فى طريقه إلى القرية الصالحة التى يعبد أهلها الله بإخلاص و تفان ورضا ، أدركه الموت ، و هنا تنازعته ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب . و كانت حجة ملائكة الرحمة أن الرجل جاء تائباً ، مقبلاً على الله تعالى بقلبه ، أى جاء تائباً توبة نصوحاً خالصة لله تعالى ، لذا فمن حقهم أن يقبضوا روحه لينعم بفضل الله .

بيد أن ملائكة العذاب كانت لهم حجة أخرى ، و هى أن الرجل لم يعمل خيراً قط ولذا لا يستحق الرحمة ، بل يستحق العذاب .

وهنا تتدخل عناية الله ورحمته ، حيث يظهر لهم مَلَكٌ على هيئة إنسان آدمى ، فيحكّمونه بينهم ، أى يجعلونه حكماً بينهم ، وبعد أن استمع إلى حجة كل فريق ، اقترح عليهم ، أن يقيسوا المسافة بين المكان الذى مات فيه الرجل أوسيموت فيه، وبين كل من القريتين: الصالحة والطالحة، فإذا كان أقرب إلى القرية الطالحة أو قرية السوء ، فهو من حق ملائكة العذاب يقبضون روحه ويدخل النار..

وقامت الملائكة بقياس المسافة بين القريتين ، فوجدوا الرجل أقرب إلى القرية الصالحة ، فقبضته ملائكة الرحمة ، وكان من المقبول توبتهم بإذن الله .

تتحدث الروايات التى نقلت إلينا حديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أن المسافة بين القريتين كانت أقرب إلى القرية الصالحة بشبر واحد . أى إنها كادت تكون متساوية تماماً ، لولا هذا الشبر الذى يمثل مسافة صغيرة جداً ، ولكنها حسمت الأمر وأدخلت الرجل فى رحمة الله الواسعة التى لا تضيق بعباده التائبين المخلصين .

وإذا كانت الرواية الأخرى تشير إلى أن الله تعالى أوحى إلى القريتين ، بأن تتقرب الصالحة وتتباعد الطالحة ، ليكون القياس إلى الصالحة أقرب ؛ فهذا من فضل الله العظيم ، ورحمته التى لا تنفد ، من أجل المغفرة والعفو عن عبد رغب فى التوبة رغبة حقيقية وأخلص لربه إخلاصاً حقيقياً .

وهو ما يؤكد أن باب التوبة مفتوح دائماً للمخلصين ، وأن المولى سبحانه يرحب بعودة عبده عن الخطايا والذنوب ، ويفرح بها ، وقد رأينا أن الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره ، وقد أضلّه فى أرضٍ فلاة ..فمن يسقط من على بعيره فى الصحراء المقفرة التى لا يهتدى فيها إلى الطريق الذى يوصله إلى موطنه أو مأمنه ، ثم يهتدى إلى المكان الذى يريد ، فإن فرحته تكون كبيرة ، حيث هى فرحة النجاة من الضياع ، وكذلك تكون فرحة الخالق بالمخلوق التائب ، بل هى أكثر من ذلك وأكبر.

ولا ريب أن فتح أبواب الرحمة أمام الناس ، وحثّهم على التوبة خيرٌ يصبّ فى رصيد المجتمع والأمة ، ويقلّل من عناصر الشر والخلل والضعف . وفى كل الأحوال علينا أن نشير إلى أن قوماً يستنكفون من التوبة والاستغفار ، وخاصة فى بعض المجالات والمهن ، حيث يقولون ، وممّ نتوب ؟ هل عملنا ما يقتضى التوبة ؟ ونقول لهم : إن نبينا – صلى الله عليه وسلم – كان يستغفر الله ويتوب إليه فى اليوم سبعين مرّة ، وهو الذى غَفَر له ربه ما تقدم من ذنبه ، ووُصِفَ أنبياءُ الله أو بعضهم بالأوّابين أى التوابين ، وخاطبنا الله عزوجل بقوله تعالى على لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم :

" وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ"

(سورة هود الآية٣)

التوبة مع الاستغفار ، تطهير دائم للنفس ، وتذكير لها بقدرة الخالق سبحانه ، فضلاً عن الإرتباط به والاتصال المستمر معه :

" فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ" **(سورة البقرة الآية ١٥٢)**

بالطبع ، فإن التوبة التى لا يقلع صاحبها عن الذنب أو المعصية ، ليست توبة حقيقية ، وكذلك التوبة عند الموت ، والتوبة مع الكفر :

"إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" **(سورة النساء الآية ١٧)**

جليبيب

obeikandl.com

obeikandl.com

جليبيب -١

عن أبى برزة الأسلمى – رضى الله عنه – قال :

كانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيّم ، لم يزوجّها حتى يُعلم النبى – صلى الله عليه وسلم – أله فيها حاجة أم لا ؟

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لرجل من الأنصار ذات يوم : " **زوّجنى ابنتك** " . **قال :** نعم حبّاً و كرامة يا رسول الله ، و نعمة عين .

قال:"**إنى لست أريدها لنفسى** " . قال : فلمن يا رسول الله ؟ !

قال :" **لجليبيب** " ، فقال : يا رسول الله ، أشاور أمهَّا ، فأتى أمهَّا فقال : إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يخطب ابنتك، فقالت نعم و نعمة عين.

فقال : إنه ليس يخطبها لنفسه ، و إنما يخطبها لجليبيب .

فقالت ألجليبيب ..؟ ثلاثاً . لعمر الله لا نزوجّه ، فلما أراد أن يقوم ليأتى رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فيخبره بما قالت أمها ، قالت الجارية .

– من خطبنى إليكم ؟ فأخبرتها أمها ، فقالت : أتردّون على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمره ؟ ادفعونى . فإنه لن يضيعنى ....

(حديث صحيح أخرجه أحمد و مسلم و آخرون)

....

تثير هذه القصة النبوية أكثر من قضية تتعلق ببناء المجتمع الإسلامى ، و تقويته . و لعل أبرزها قضية الزوّاج ، و قضية الجهاد فى سبيل الله و الشهادة ، و قضايا أخرى مثل حبّ الأنصار لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – و مشاورة الرجل لزوجه – و مسألة الطبقية فى المجتمع .

يقول راوى الحديث أبو برزة الأسلمة – رضى الله عنه : إن الأنصار كانوا – لا يزوجون المرأة الأيّم ، أى الأرملة التى مات عنها زوجها أو المطلقة ، إلا إذا شاوروا رسول الله –صلى الله عليه وسلم – و يسألونه : أله فيها حاجة أم لا ؟

obeikandl.com

معنى ذلك أنهم كانوا يشاورونه – لعله يريد أن يزوّجها أحداً من أصحابه أو غير ذلك . فالاستئناس برأيه – صلى الله عليه وسلم – تعبير عن حبهم له و إخلاصهم لما جاء به ، و إيمانهم بأن توجيهه – صلى الله عليه وسلم – هو الصواب، حيث لا ينطق عن الهوى ، سواء تعلق الأمر بأمور الدين أو الدنيا ..و منها بالضرورة موضوع الزواج .

و تقدم لنا القصة النبوية حدثاً معتاداً فى المجتمع الإسلامى، و كل المجتمعات وهو طلب الرجل الزواج من امرأة ..ولكن هذا الحدث المعتاد فى القصة التى بين أيدينا ، يخرج عن حالة الاعتياد ، إلى حالة استثنائية ، حيث يطلب الرسول- صلى الله عليه وسلم- من أحد الأنصار أن يزوجه ابنته . فيظن الأنصارى أن النبى -صلوات الله عليه و سلامه- يطلبها لنفسه ، فيطير من الفرح و السرور ، و يعبر عن ذلك بقوله :

" نعم حبا و كرامة يا رسول الله ، و نعمة عين "

أى إن هذا الأمر يمثل له أمراً محبوباً ، و تكريماً للمطلوب و قرة عين له .

بيد أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يفاجىء الرجل ، بأنه لا يطلب الفتاة لنفسه ، و لكنه يطلبها لشخص آخر ، اسمه "**جليبيب**" ، و هنا تتراجع الفرحة التى شعر بها الأنصارى و يبهت سروره ، و يجيب الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأنه سيشاور أمها فى الأمر ، فلها رأى ، و هى شريكته فى إدارة الأسرة . فالمشاورة الأسرية مطلوبة ، و للمرأة دور لا يمكن إنكاره ، سبق إليه الإسلام العالم قبل أربعة عشر قرناً من الزمان .

بيد أننا فى هذه القصة نصطدم بالعقدة القصصية الرئيسية ، و هى النظرة الطبقية التى ينظر بها المجتمع إلى بعض أفراده البسطاء – فجليبيب – وكما يبدو من اسمه وتصغيره ، يظهر إنساناً بسيطاً فقيراً لا حسب له ولا جاه ولا مال . ولكن

الرسول – صلى الله عليه وسلم –يتبنى قضية زواجه تطبيقاً لنظرة الإسلام إلى الأشخاص و دينهم وسلوكهم و ليس إلى أموالهم و أنسابهم ...فالطبقية فى الإسلام ليست مثل الطبقية فى المجتمعات غير الإسلامية، التى تجعل المال معبوداً ومتحكماً فى أقدار الرجال و النساء ... الطبقية فى الإسلام – إذا جاز التعبير – تقوم على أساس التقوى ، و التفاضل يكون على أساس الإيمان ..أما ماعدا ذلك فأمر ثانوى و هامشى..و هذا ما يتضح فى توجيهات الرسول –صلى الله عليه وسلم– للمسلمين .

"**إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه**"، **فالدين أساس ثابت راسخ، و هناك الحديث الشريف الذائع عن المرأة التى تنكح لحسبها و نسبها و مالها و دينها" فاظفر بذات الدين تربت يداك** "...

إذاً نحن أمام منهج إسلامى فى الزواج ، لا يقرّ العسف الذى تفرضه الأعراف والتقاليد غير الرشيدة ، التى تعتمد على المظهرية و الاستعراض ، و تحمّل أهل العروسين ما لا طاقة لهم به ، سواء تمثل ذلك فى السكن أو الأثاث – أو العفش كما يطلق عليه العامة – أو المهر و الشبكة و الحفلات الصاخبة التى يغلو البعض فى طلبها أو تنفيذها إلى درجة التعجيز أو السفه ، و هو ما يرفع سنّ الزواج ، و يشيع العنوسة ، و يجعل الشباب يعيش محنة مزدوجة بين عدم إشباع رغباته الطبيعية وعجزه عن تحقيق ما تفرضه الأعراف و التقاليد غير الرشيدة ...و إذا قرأنا هذه المحنة المزدوجة فى ظل ما تشيعه القنوات الفضائية و الأرضية للتليفزيونات المحلية و العالمية من انحلال و إباحية و صور خيالية للحياة المرفهة ؛ أدركنا عمق المأساة التى تحيط بشبابنا المعاصر ذكوراً و إناثاً . و هو ما لا يرضاه الإسلام .

جليبيب -٢

ترفض الفتاة ابنة الأنصارى ، رأى أمها الرافض من زواجها من "**جليبيب** " ، وتقول لأمها وأبيها: أتردّون على رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم- أمره؟ ادفعونى، فإنه لن يضيعنى .

فانطلق أبوها إلى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فأخبره . قال : شأنك بها فزوَّجَها جليبيبا ، و خرج -أى جليبيب-مع رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم - فى غزاة له .

فلما أفاء اللّه عليه ، قال لأصحابه :" هل تفتقدون من أحد ؟ " .

قالوا : نفقد فلاناً ، و نفقد فلاناً . قال : " **انظروا هل تفقدون من أحد ؟**"

قالوا : لا .

قال : " **لكنى أفقد جليبيباً ، فاطلبوه فى القتلى** " .

فطلبوه ، و جدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ، ثم قتلوه ، فأتاه النبى-صلى اللّه عليه وسلم- فقام عليه ، **فقال :** "**قتَل سبعة، ثم قتلوه، هذا منى، وأنا منه، هذا منى وأنا منه** "

مرتين أو ثلاثاً ، ثم وضعه رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- على ساعده ، وحفر له ، ماله سرير إلا ساعد النبى-صلى اللّه عليه وسلم- ثم وضعه فى قبره ، ولم يذكر أنه غسّله .

....

رأينا أن الأنصارى ، أجاب رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – حين عرف أنه يطلب ابنته للزواج من جليبيب ؛ وليس له ، أنه سيشاور أمّها . و كان رأى الأم رفضاً قاطعاً فيه استنكار : " **ألجليبيب ؟** " و أكدت هذا الاستنكار ثلاث مرات بالقسم قائلة : لعمر اللّه ، لا نزوجّه ..

و هذا الرفض بسبب تواضع حال جليبيب و فقره . و لكن الفتاة أو الجارية – كما كانت تسمى التى لم تتزوج آنئذ – ترفض رفض أمها و تقول : أتردون على رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – أمره . ادفعونى . فإنه لن يضيعنى . أى إن الفتاة أدركت بإيمانها أن الرسول – صلى اله عليه وسلم – لا يريد لها إلاّ خيراً ، ولهذا صممّت على قبول الزواج من جليبيب . و هنا تتبدى قيمة الزوجة المتدينة المؤمنة بالإسلام قولاً و عملاً ، حيث نالت شرف أن تكون فيما بعد زوجة شهيد ، قال عنه رسول اللّه – صلوات اللّه عليه و سلامه – " **هذا منى و أنا منه** " مؤكداً ذلك أكثر من مرة .

و نلاحظ هنا ، أن الأنصارى أخبر رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – بما جرى من زوجه و ابنته ، فقال له : شأنك بها . كأنه أقَرّ الابنة على رأيها . و على هذا فقد زوّج الأنصاريُّ الفتاة من جليبيب ...و انتهى الأمر عند ذلك .

و لكن أمر جليبيب لم ينته ، فقد خرج فى غزوة مع الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – و بعد انتهاء القتال ، قال الرسول -صلى اللّه عليه وسلم- لأصحابه: "**هل تفقدون من أحد؟**" و هو أمر طبعى بعد المعارك، أن يبحث القائد عمن فُقِد من جنوده بالاستشهاد أو الأسر أو غير ذلك .

و قد ذكر الصحابة أسماء من فقدوهم دون أن يذكروا " **جليبيبا**" ، و طلب منهم أن يتفقدوه فى القتلى أو الشهداء . و تأمل قوله – صلى اللّه عليه وسلم- "**لكنى أفقد جليبيبا**" و لم يقل إنكم تفقدون جليبيباً ، مما يدل على قربه منه و اهتمامه به ، ومنزلته الخاصة عند الحبيب – صلى اللّه عليه وسلم .

و تكون المفاجأة للصحابة ، أنهم يتفقدون القتلى ، فيجدون "**جليبيباً**" يرقد شهيداً و بجواره سبعةٌ من قتلى العدُو ، قتلهم "**جليبيب**" وحده . و هنا يذهب الرسول – صلى اللّه عليه وسلم .إليه ، و يقف عند جثمانه ، و **يقول : "سبعةً ثم قتلوه. هذا منى، وأنا منه هذا منى و أنا منه**" مرتين أو ثلاثاً .

و معنى ذلك أن "**جليبيب**" هذا البسيط المتواضع ، الذى رفضت زوج الأنصارى أولاً أن تزوجه ابنتها و تقسم ثلاثاً لعمرو اللّٰه لا نزوجه ، هو فى الحقيقة، أعلى مكاناً و أرفع منزلة، و يكفيه أن الرسول -صلى اللّٰه عليه و سلم – ينسبه إليه، وهذا النسب شرف لا يصل إليه أىُّ أحد ، ولكن يصل إليه من رضى اللّٰه عنهم ورضوا عنه . وأنعم به من شرف .

ولنا أن نفسر أسباب هذا الشرف ، و نبحث عنه فى سياق القصة النبوية الشريفة ، فجليبيب مع بساطة مكانته الاجتماعية ، و تواضعه بين أفراد الناس ؛ كان يحمل إيماناً عميقاً ، و إخلاصاً لا شائبة فيه للإسلام و لنبيه – صلى اللّٰه عليه وسلم – لدرجة أنه يذهب إلى الأنصارى ، و يقول له : " زوجنى ابنتك " و لم يقل له : "**زوّج جليبيباً ابنتك**" فنسب الزواج إلى نفسه – صلى اللّٰه عليه وسلم – دليلاً على عظم مكانة "**جليبيب**" لدى النبى – صلى اللّٰه عليه وسلم – علوّ شأنه فى الإسلام .

ثم إنّ "**جليبيباً**" حين يدعو داعى الجهاد، لا يتخلف ولا يتباطأ، بل إنه يسارع ، و يذهب إلى الميدان فيقاتل بشجاعة المؤمن ، و صلابة من يطلب الشهادة ، و إرادة من يسعى لعزة الإسلام ، ولذا يسقط فى الميدان شهيداً ، بعد أن يقتل وحده سبعةً من أفراد العدوّ ، و يتمدد جثمانه إلى جوارهم ! أليس جليبيب شهيداً عظيماً حقاً ينتسب إلى رسول اللّٰه – صلى اللّٰه عليه وسلم ؟ .

إن الرسول – صلى اللّٰه عليه وسلم – لم يكتف بالإشارة إلى انتسابه إليه ، ولكنه يضعه على ساعده ، و يحفر له قبره ، و يواريه الثرى ، دون أن يغسّله ، فى إشارة إلى أن الشهداء لا يكفنّون ولا يغسّلون ، و صدق اللّٰه العظيم إذ يقول :-

"وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ"

(سورة آل عمران الآيات ١٦٩-١٧١)

أمّ أبى هريرة

obeikandl.com

obeikandl.com

أمّ أبى هريرة -١

عن أبى كثير السحيمى قال : حدثنا أبو هريرة – رضى اللّه عنه – قال :-

ما خلق الله مؤمناً سمع بى و لا يرانى إلا أحبّنى، قلت: و ما علمك بذاك يا أبا هريرة ؟

قال : إن أمى كانت مشركة ، و إنى كنت أدعوها إلى الإسلام ، فتأبى علىّ ، وإنى دعوتها ذات يوم ، فأسمعتنى فى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – ما أكره، فأتيت رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فقلت :

يا رسول اللّه ، إن أمى امرأة مشركة ، و إنى أدعوها إلى الإسلام ، فتأبى علىّ و إنى دعوتها ، فأسمعتنى فيك ما أكره ، فادع اللّه أن يهدىّ أمى ، فقال :

" **اللهم اهدِ أمَّ أبى هريرة** " .....

(حديث صحيح ، أخرجه مسلم و أحمد و آخرون).

....

أبو هريرة صحابى جليل ، خدم الإسلام و المسلمين خدمة جليلة ، و هو من أكثر الصحابة رواية عن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – و كان حريصاً على الحديث الشريف ، و كان حافظاً ، و له من العلم و الوعى ما جعل الثناء عليه يأتى من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – الذى قال : " و الذى نفس محمد بيده ، لقد ظننت أنك أول من يسألنى عن ذلك من أمتى ، لما رأيت من حرصك على العلم " . و قال عنه – صلى اللّه عليه وسلم :" أبو هريرة وعاء من العلم " . قال زيد بن ثابت : يا رسول اللّه ، و نحن نسأل اللّه علماً لا ينسى ، فقال سبقكم بها الغلام الدوسى!"

يقصد أبا هريرة رضى اللّه عنه .

وصفه الإمام البخارى فقال : رَوَى عنه نحوُ ثمانمائة من أهل العلم ، و كان أحفظُ من روى الحديثَ فى عصره "

وقال عنه الإمام الحافظ الذهبى : أبو هريرة الإمام الفقيه المجتهد الحافظ ، صاحب رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم-، أبو هريرة الدوسىّ اليمانى، سيدّ الحفاظ الأثْبات .

و فى هذه القصة التى يرويها أبو كثير السحيمى يتحدث أبو هريرة عن نفسه و عن أمه ، و يروى كيف أسلمت هذه الأم بعد أن كانت أشدّ عداوة للرسول – صلى الله عليه وسلم .

يبدأ حديث أبى هريرة عن نفسه فيقول:"**ما خلق الله مؤمناً سمع بى ولا يرانى إلا أحبّنى**" أى إن المؤمنين الذين عرفوا أبا هريرة أو سمعوا عنه أحبوّه أو كان محبوباً لديهم .

و هذا الأمر يقودنا إلى الإشارة إلى أن أبا هريرة لشدّة ملاصقته للرسول – صلى الله عليه وسلم – و اقترابه منه ، قد تعرّض لحملات شديدة من خصوم الإسلام و أعدائه وخاصة المستشرقون ، و أتباع الثقافة الاستعمارية فى بلاد المسلمين فى العصر الحديث فقد نالوا منه، و شككّوا فى رواياته و اتهموه اتهامات باطلة عديدة، ينفيها ثناء الرسول – صلى الله عليه وسلم – و الصحابة و العلماء من التابعين ومن جاء بعدهم عليه .

و استهداف أبى هريرة له هدف واضح و صريح، هو التشكيك فى ثوابت الإسلام وقواعده، و خاصة ما جاء فى السنّة المطهرة، ورُوِيَ عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم .

أبو هريرة مع استهدافه و النيل منه محبوب من كلّ المؤمنين . أما غير المؤمنين فلهم شأن آخر ، ولن يستطيعوا أن يؤثرّوا فى مكانته لدى المؤمنين . فقد بذل و أعطى و جاهد .. و نال الحبّ من أهل هذا الدين الحنيف .

و هو فى هذه القصة حين يتحدث عن حبّ المؤمنين له ، فإنه يمّهد بذلك لقصة مهّمة هى إسلام أمّه...لأن هذا الإسلام كان سبباً فى هذا الحبّ الذى جاء -كما سنعرف من القصة- استجابة لدعاء الرسول -صلى الله عليه و سلم- له ولأمه.

يعترف أبو هريرة أن أمَّهُ كانت مشركة ، و أنه كان يدعوها إلى الإسلام فتأبى عليه و تمتنع ، ولا تكتفى بذلك ، بل إنها تتمادى فى كراهيتها للإسلام ورسوله -صلى الله عليه وسلم- فتقول ما لا يليق بهما ..

يقول أبو هريرة عنها : إنه دعاها ذات يوم للإسلام ، فأسمعته فى الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما يكره ...و ذهب إليه و طلب منه أن يدعو الله ليهدى أمه . فدعا لها الرسول – صلى الله عليه و سلم – و قال :

" **اللهم اهْدِ أمَّ أبى هريرة** " .

و نلاحظ هنا أن أبا هريرة ، يدعو أمه المشركة إلى الإسلام ، و يحتمل منها سماع ما يكره فى النبى – صلى الله عليه وسلم – و مع ذلك يطلب لها الهداية ودخول الإسلام .

إن عدم إسلام أمّ أبى هريرة ، لم يمنعه من البّر بها ، و التواصل معها ، واحتمالها و هو منهج إسلامى ، حثّ عليه الإسلام منذ بدايات الدعوة .

قال تعالى :-

"وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا"

(سورة الإسراء الآية ٢٣)

و فى موضع آخر نجد الآيات القرآنية تحث على الإحسان إلى الوالدين وطاعتهما إلا فى الشرك :-

"وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" **(سورة لقمان الأية ١٥)**

أمّ أبى هريرة -٢

طلب أبو هريرة – رضى اللّه عنه – من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – أن يدعو اللّه ليهدىَ أمَّهُ المشركة ، فقال :

" **اللهم اهْدِ أمَّ أبى هريرة** " .

يقول أبو هريرة : فخرجت أعدو أبشرها بدعوة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فلما أتيتُ الباب إذا هو مُجَافٌ ، و سمعت خضخضة الماء ، و سمعتْ خشْف رجلىّ ، فقالت : يا أبا هريرة ، كما أنت ، و فتحت الباب ، و لبست درعها ، و عَجِلَتْ عن خمارها، فقالت إنى أشهد أن لا إله إلا اللّه و أن محمداً عبده ورسوله .

فرجعتُ إلى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – أبكى من الفرح كما بكيت من الحزن ، فقلت : يا رسول اللّه ، أليس قد استجاب اللّه دعوتك ، فهدى أمَّ أبى هريرة ، فادع اللّه أن يحبّبنى وأمى إلى عباده المؤمنين ، و يحببّهم إلىّ ، و إليها ، **فقال :**

" **اللهم حببّ عبدك و أمهّ ، إلى عبادك المؤمنين و حبّبهم إليه** ".

*** *** *** ***

من حسن الخلق البرّ بالوالدين ، و قد كان أبو هريرة – رضى اللّه عنه – باراً بأمه المشركة و لذا طلب من الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – أن يدعُوَ لأمه بالهداية ودخول الإسلام ، و قد دعا لها الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – و استجاب اللّه سبحانه لدعائه ، فأسلمت و حسن إسلامها ، وكانت مع ابنها أبى هريرة من أحبّ عباد اللّه إلى المؤمنين .

و قد انشرح صدرُ أبى هريرة حين سمع الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – يدعو لأمه بالهداية ، فخرج يعدو ، أى يجرى ليبشرها بهذه الدعوة ، و حين وصل إلى باب البيت فإذا به يراه مغلقاً ، أو حسب روايته " **فإذا هو مُجَافٌ** " ، و لكنه سمع صوت الماء فى الداخل أو خضخضة الماء ، حيث كانت أمه تغتسل و تتطهر إيذاناً بدخولها الإسلام ، كما يجب على من يدخل الإسلام أن يقوم بالاغتسال ..و حين سمعتْ

صوت قدميْه بالخارج أو "**خَشْف رجليه**" ، طلبت منه أن يبقى فى مكانه حتى تلبس ثيابها "**ولبست درعها وعجلت عن خمارها**" ...وهنا سنجد بعض روايات الحديث أو القصة تختلف قليلاًفى صياغة هذه اللحظة ، أى قدوم أبى هريرة على أمه، ولكنها تتفقُ على أن أبا هريرة جاء ليبشّر أمه بدعوة الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – فوجدها تغتسل ، ثم تعلن إسلامها بنطق الشهادتين .

ولا شك أنَّ إسلامَ أمِّ أبى هريرة أفرحه و أسعده ، حتى بكى من الفرح ، كما كان يبكى من الحزن ، وكان عليه أن يرجع إلى الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – ليخبره أن اللّه استجاب لدعائه ، و أنّه هدى أمه ، التى أعلنت الإسلام ، و تركت الشرك ، و كان فرح أبى هريرة دافعا له إلى طلب دعوة أخرى لها دلالة أخرى تستمر مع الزمان و المكان إلى ما شاء اللّه ...و هذا الطلب ، هو أن يدعو رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – أن يحّبب اللّهُ أبا هريرة و أمه إلى عبادة المؤمنين ، و يحبّبهم إليه وإليها .

و دعوة الحبّ التى دعاها الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – لأبى هريرة قد استجيبت و تحققت ، و صار المسلمون فى زمنه ، و بعده ، يحبّونه ، و يحبون أمه و يردّون اسمه فى شتى المناسبات التى تقتضى ذكْرَ ما رواه من الأحاديث ، وما جرى منه فى علاقته برسول اللّه –صلى اللّه عليه وسلم .

وسوف نلاحظ أن استجابة الدعاء لأبى هريرة و أمه كانت تكريماً إلهياً ، فضلاً عن كونها تكريماً للرسول – صلى اللّه عليه وسلم – و هو ما كان يحرص عليه الصحابة رضوان اللّه عليهم ، حيث يطلبون منه – صلى اللّه عليه وسلم – أن يدعو اللّه لهم ، و كانت الإستجابة الإلهية تصديقاً لقوله تعالى :-

" وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" (سورة البقرة الآية ١٨٦)

وقوله تعالى :-

"وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ " (سورة غافر الآية ٦٠)

والدعاء هنا مقرون بعبادة الله، و تعبير عن طاعته، و الاستسلام لإرادته.. ومن كان الله معه ، فلن يضّل ولا يخيب!

و قد استفاد أبو هريرة رضى الله عنه ، من صحبته للرسول – صلى الله عليه وسلم – فكان يطلب منه الدعاء ، وكان المولى سبحانه يستجيب له . لقد صحب أبو هريرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – أربع سنوات مباركة بعد غزوة خيبر وكانت سنّه إذ ذاك قد جاوزت الثلاثين ، فكان ملازماً له فى حركته و صلاته وحجه و غزوه و مجالسه ، بل كان يقيم فى المسجد ، و الرسول – صلى الله عليه وسلم – أمامه ، يتلقى عنه العلم و يشاهد تطبيق الشريعة ، و ذهب إلى البحرين ليؤم أهلها للصلاة و يؤذن لهم ، و يعلمهم أمور دينهم كما شاهدها فى موطن النبوة . وكان حريصا على سماع الحديث و سؤال الرسول – صلى الله عليه و سلم – الذى كان يجيبه على كل ما يسأل عنه .

لقد ظل أبو هريرة رمزاً من رموز العلم و المعرفة التى عرفها صدر الإسلام ، ففهم ووعى وروى ، و لذا يركز خصومُ الإسلام و أتباعهمُ من المنافقين و الأفاقين ، على تشويه صورته ، و التشكيك فى روايته لهدم ثوابت الدين ..و لكنهم ينهزمون بفضل الله ، ثم بفضل العلماء الثقات الذين يجلون صورته ، و يضيئون تاريخه الصحيح .

المنبـــــــوذ !

obeikandl.com

obeikandl.com

المنبـــــــــوذ !

عن أنس بن مالك – رضى اللّه عنه – أن رجلاً كان يكتب للنبى – صلى اللّه عليه وسلم – و قد كان قرأ البقرة و آل عمران ، و كان الرجل إذا قرأ البقرة، و آل عمران جدّ فينا فارتد عن الإسلام و لحق بالمشركين ، فمات .

فقال النبى – صلى اللّه عليه وسلم : " إن الأرض لا تقبله ! "

فحفروا له ، فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له ، فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، فتركوه منبوذا .

قال أنس : فأخبرنى أبو طلحة أنه أتى الأرض التى مات فيها ، فوجده منبوذاً قال أبو طلحة : ما شأن هذا ؟

فقالوا : قد دفعناه مراراً، فلم تقبله الأرض.(**حديث صحيح،أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما**).

....

تكشف هذه القصة النبوية عن جانب من معجزات الرسول –صلى اللّه عليه وسلم– فى مجال الإخبار بالغيب وحياً من عند اللّه جل وعلاً .

فهو يكشف مصير رجل كان مسلما ، وارتـّد ، أى رجع عن الإسلام ، فإذا الأرض لا تقبله ولا ترضى به داخل بطنها لتوارى جثته ، مما عرضها لتكون فريسة للسباع و الطيور الجارحة و الحيوانات الضارية ...أى إن جثته فُضحت على رءءس الأشهاد ، نتيجة لكفره بنعمة اللّه و إيثار الدنيا على الآخرة .

و تبدأ القصة التى يرويها أنس بن مالك –رضى اللّه عنه– بأن الرجل كان من كتّاب رسول اللّه–صلى اللّه عليه وسلم– سواء كان يكتب له الوحى أو الرسائل أو أشياء أخرى، وكان يقرأ سورة البقرة و سورة آل عمران ، و يفقه ما فيهما من معان و تشريع وتوجيه ومناقشةٍ للمشركين و عبّاد الأصنام ، و إثباتٍ لصدق رسالة الرسول – صلى اللّه عليه وسلم... والدليل على ذلك أنه كان إذا قرأ البقرة ، أو آل عمران أثـّر فى الصحابة الذين يستمعون تأثيراً عظيماً ، أو حسب قول أنس بن مالك – رضى اللّه عنه – "**جّد فينا**" ، أى أثـّر فينا بقوّة ، وأخذ بتلابيب القلوب ..

فالرجل إذاً كان قريباً ، من النبى –صلى اللّه عليه وسلم– و كان قريباً من الصحابة، ولكنه آثر الدنيا ، فارتد عن الإسلام، و لحق بالمشركين، أى ترك المدينة والمسلمين و أغواه الشيطان .وذهب إلى المشركين ليعيش بينهم ، كما يعيشون.. وظل مشركا حتى مات .

و عندما علم الرسول – صلى اللّٰه عليه وسلم – بموته بعد ارتداده ، **قال** :

" إن الأرض لا تقبله " !

ومعنى أن الأرض لا تقبله، أى ترفضه، لأنه كان على الحق، و فارقه، وعرف الإسلام معرفة جيدة ، ولكنه آثر الرجوع عنه ، لمطمع دنيوى ، أو شهوة معينة، أو غاية رخيصة، وهنا، فإن غضب اللّٰه عليه و الملائكة و الناس أجمعين لا يكفى تعبيراً عن مصيره البائس ، بل إن هذا الغضب يمتد إلى الأرض الصمّاء أو الأرض التى تتكون من تراب لا روح فيه ولا حياة ، حيث تعبّر عن غضبها بطريقتها الخاصة ، فترفض بقاء جثمانه داخلها ، و تلفظه ، أى تخرجه من باطنها ، ليكون عورة مكشوفة أمام الناس ..يأكل منها الحيوان و الطير..وقد صدق الرسول الكريم – صلى اللّٰه عليه وسلم – فى نبوءته حين **قال** :" **إن الأرض لا تقبله** " !

و يحكى أنس بن مالك – رضى اللّٰه عنه – أن الناس أو من معه قد دفنوه ، أى حفروا له لحده ليوارى الثرى ، و لكنهم فوجئوا به و قد نبذته الأرض على وجهها ، أى أخرجته من باطنها ! فعادوا ليحفروا مرة أخرى و يدفنوه ، و لكنهم فوجئوا به منبوذا على وجه الأرض أو اللحد ..و كرروا الأمر مرة ثالثة ، فإذا بالأرض تفعل به ما فعلته من قبل ..و عندئذ أيس الناس منه، و تركوه مكشوفاً فى العراء ..و ياله من عقاب إلهى لمن عرف الحق، ورجع عنه، وصدق بالإيمان عن يقين، ثم كـذّب به !

لقد تأكّد أبو طلحة من صحة الحادثة ، و ذهب إلى الأرض أو المكان الذى مات فيه ، وسأل عنه ، و أكدوا له صحة النبوءة التى تنبأ بها رسول اللّٰه – صلى اللّٰه عليه وسلم – وقالوا له دفناه مراراً فلم تقبله الأرض .

وقد يسال سائل: أيحدث ذلك مع كل مرتد ؟ والإجابة أن هذا مثال حىّ يدل على عظم جريمة الردّة و مدى بشاعة من يرتكبها ، و خاصة من يتلاعبون بالأديان، وأن عقابهم الإلهى سيكون فى الآخرة أشدّ و أنكى . إن الإسلام لا يُكره أحداً على دخوله أو الانتساب إليه .

قال تعالى :-

"... فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ..." **(سورة الكهف من الآية ٢٩)**

ومن يدخل الإسلام فإنه يفعل ذلك عن درْس و اقتناع و إيمان و يقين، يجعله يتحمل فى سبيل ذلك الشدائد و المتاعب كما جرى للمسلمين الأوائل فى مكة . ومن ثمّ ، فإن الارتداد عن الإسلام لا يعنى الخروج منه وحده بل الخروج من بقية الأديان التى يحض الإسلام على الإيمان بها وبرسلها و أنبيائها و كتبها مع الملائكة ..نسأل اللّٰه أن يهدينا إلى الحق و الصواب .

سـورة الـبـقـرة

obeikandl.com

obeikandl.com

سورة البقرة -١

عن أسيد بن حضير – رضى اللّه عنه – قال :-

بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، و فرسه مربوط إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ، فجالت الفرس، فسكت فسكتتْ، فانصرف ، و كان ابنه قريباً منه ، فأشفق أن تصيبه ، فلما اجترّه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح ، حدث رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – قال : بينما أنا أقرأ البارحة ، و الفرس مربوطة إذ جالت؟ فقال رسول اللّه- صلى اللّه عليه وسلم: "**إقرأ يا ابن الحضير، اقرأ يا ابن الحضير" ثلاث مرات .. (حديث صحيح أخرجه البخارى و مسلم و غيرهما)**

. . . . . .

أسيد بن حضير راوى الحديث الشريف أو القصة النبوية ، من الصحابة المخلصين الذين أبلوا بلاء حسناً من أجل الدعوة و الداعية – صلى اللّه عليه وسلم – و قد روى جانبا من أحاديث الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – و حظى بتكريمه وتقديره ، فضلاً عن الكرم الإلهى الذى اختصه اللّه به فى أكثر من مناسبة .

والقصة التى يرويها أسيد تدور فى إطار قراءة القرآن الكريم و فضله على قارئه، وخاصة من يتلوه بخشوع و إخلاص و لا ينشغل بغيره من أعراض الدنيا ومتاعها الزائل.. وقد كان فى هذه القصة يقرأ سورة البقرة فى جوف الليل و الناس نيام يستمتعون بلذة النوم وراحته ..

و سورة البقرة من أطول سور القرآن الكريم، وورد فى فضلها بعض الأحاديث الشريفة التى تكشف عن أهميتها و فوائدها. فعن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم قال :"**لا تجعلوا بيوتكم مقابر؟ إن الشيطان ينفر من البيت الذى تُقرأ فيه سورة البقرة**" .

و فى الحديث المتفق عليه الذى رواه أبو مسعود البدرى – رضى اللّه عنه – أن النبى – صلى اللّه عليه وسلم – **قال :"من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه**" وقيل كفتاه المكروه تلك الليلة . و قيل : كفتاه من قيام الليل .

و فى صحيح مسلم ، عن أبى بن كعب -رضى اللّه عنه- قال : قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم :" يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب اللّه معك أعظم؟ "**قلت: "الله لا إله إلا هو الحىّ القيوم**" – يقصد آية الكرسى فى سورة البقرة – فضرب فى صدرى **و قال :** "**ليهنك العلم أبا المنذر**" أى يسّر اللّه لك العلم يا أبا المنذر.

و تبدأ القصة النبوية من المشكلة أو العقدة ، كما يسميها نقاد الأدب ، فنحن أمام الصحابى الجليل، و هو يقرأ سورة البقرة فى جوف الليل. و حين يقرأ فإن فرسه تثب أو تجول أى تقفز. أما حين يسكت و يكف عن القراءة ، فإنها تسكن وتتوقف عن القفز أو الوثب أو الجولان .

كرر أسيد بن حضير هذا الأمر ، و اضطر أخيراً ، أن يتوقف عن القراءة، ليصحب ولده أو يجرّه من المكان الذى كانت فيه الفرس ، حتى لا تطأه و تصيبه بأذى ، ورفع رأسه إلى السماء، حتى ما يراها، و فى الصباح حدث رسول اللّه –صلى اللّه عليه وسلم – بما جرى له.

قال أسيد: بينما أنا أقرأ البارحة، و الفرس مربوطة إذ جالت-أى قفزت ووثبت.

فقال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم :"**اقرأ يا ابن الحضير ، اقرأ يا ابن الحضير** " وكرّر هذا الأمر ثلاث مرات .

و يفهم من سياق الحديث أن الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – لم يقصد أن يقرأ أسيد سورة البقرة ، و هو يحكى له ما جرى البارحة من أمر القراءة و الفرس ، ولكنه – صلى اللّه عليه وسلم – يستحضر صورة الحال التى كان عليها أسيد، و هو يقرأ ، فكأنه يقول له : استمر فى القراءة يا أسيد .. لتنعم بفضل اللّه عليك نتيجة القراءة، و بركتها المتمثلة فى نزول الملائكة عند القراءة، ونزول الرحمة من عند اللّه، بسبب ما تحمله السورة و تقدمه من فضل و خير.

إن سورة البقرة بوصفها أطول سور القرآن الكريم ، تبدأ بالحديث عن القرآن الذى لا شك فيه ولا ريب ، و هو كتاب الهداية للمتقين الذين يؤمنون باللّه و اليوم الآخرو يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهؤلاء هم المفلحون فى الدنيا و الآخرة ، وتنتهى بتقرير مبدأ عام يؤكد يسر الإسلام و تيسيره على أتباعه .

"....لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ....." (سورة البقرة من الآية ٢٨٦)

مع دعاء بعدم المؤاخذة عند النسيان أو الخطأ ، و عدم تحميل المسلم ما لا طاقة له به ، وطلب الغفران و الرحمة و النصرة على الأعداء من واهب النصر ، و هو المولى عزوجل وعلا.....وما بين البداية و النهاية قصةُ الخلق و قصصٌ لبعض الأنبياء ، مع بيان تشريعات وإشارات لقوم سابقين ، و هو ما يعنى أن طولَ السورة ومحتوياتها دليلُ على أهميتها وقيمتها و فضلها ، مما يجعل قراءتها سبباً لنزول الملائكة مع رحمة اللّه .

سورة البقرة -٢

عندما قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأسيد بن حضير : "إقرأ يا ابن الحضير ...اقرأ يا ابن الحضير" ثلاث مرات ، قال أسيد :

فقرأت فجالتْ ، فسكتُّ فسكنتّ ،

فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى ، وكان منها قريباً ، فانصرفت إليه ، فرفعت رأسى إلى السماء ، فإذا هو مثل الظُّلة فيها أمثال المصابيح عرجتْ إلى السماء حتى لا أراها !

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم :" **وتدرى ماذاك ؟** "

قال : لا يا رسول الله .

قال :" تلك الملائكة . أتت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحْت ينظر الناس إليها ، لا تتوارى منهم " .

....

كان أسيد بن حضير يحكى لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – مل جرى فى أثناء قراءته لسورة البقرة أطول سور القرآن الكريم ، حيث كانت فرسه تقفز وتثب و تجول إذا قرأ آياتها ، و تسكن و تهدأ و تقف إذا سكت أسيد عن القراءة ، و كان الرسول –صلى الله عليه وسلم – كأنه يستحضر الموقف الذى كان عليه أسيد ، فيقول له : اقرأ يا ابن الحضير ... اقرأ يا ابن الحضير ثلاث مرات ، و ذلك لفرحه –صلى الله عليه وسلم- بنزول الملائكة مع رحمة الله على أسيد وهو يقرأ القرآن.. وهنا يبدو " أسيد " و قد أحسّ بتقصيره عن الاستمرار فى القراءة ، فراح يعتذر للرسول – صلى الله عليه وسلم – بخوفه على ابنه :

" **فأشفقت يارسول الله أن تطأ يحيى، و كان منها قريباً** "، و الضمير هنا يعود على الفرس التى تقفز و تثب و تجول ، فخاف أن تدوس ولده يحيى الذى كان بالقرب منها . وهو ما دفعه إلى التوقف عن القراءة و الانصراف إلى الولد لإبعاده عن الخطر الذى يتوقعه من فرسه .

و فى أثناء انصرافه بولده يحيى . رفع أسيد بصره إلى السماء فكأنه لا يراها ولكنه رأى شيئاً مدهشاً لم يألفه من قبل ، فقد كانت السماء كالظلّة و فيها ما يشبه المصابيح التى تصعد أو تعرج إلى السماء بحيث لا يتمكن من رؤيتها جيداً .

إنه مشهد مهيب ، جعل الرسول – صلى الله عليه وسلم – يسأل "**أسيدً**" عن هذا الذى رآه: " **و تدرى ما ذاك ؟** " .

و تكون إجابة " **أسيد** " تلقائية و طبيعية : لا يا رسول الله .

وهنا يشرح له الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما رأى فى عبارة موجزة :

– "تلك الملائكة، أتت لصوتك، و لو قرأت لأصبحتْ ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم " .

يقرر الرسول –صلى اللّه عليه وسلم– فى عبارته أن ما رآه "أسيد"هو الملائكة؛ و قد نزلت الملائكة استجابة لسماع صوته .. و يبدو أن قراءة "أسيد" كانت قراءة متقنة خاشعة فى صوت جميل يدلّ على الطاعة و الالتزام و التأمل فى معنى كلام اللّه . و هو ما جعل الملائكة تنزل كأنها المصابيح ... فأفزع فرسه التى جالت ، أى قفزت ووثبت من رؤيتها ، ونلاحظ هنا أن الملائكة تنزل عند القراءة ، وتصعد عند التوقف عنها، مما جعل الفرس تقفز عند نزولها، المواكب للقراءة، وتسكن عندما يسكت عن القراءة مواكبة لصعودها .

و يشير الرسول –صلى اللّه عليه وسلم– إن "**أسيداً**" لو استمّر فى القراءة بصوته الخاشع المتقن، لظلت الملائكة نازلة لا تصعد، حتى يراها الناس، دون أن تختفى أو تبتعد...

و الغاية كما نراها من القصة أن القرآن الكريم له فضل عظيم على من يتلوه أو يتأمله ، لدرجة نزول الملائكة لسماعه، و معها رحمة اللّه لمن يقرأ أو يتلو. وكانت قراءة القرآن توجيهاً للرسول –صلى اللّه عليه وسلم– بقوله تعالى :–

" .....وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً" **(سورة المزمل من الآية ٤)**

وتوجيهاً للمؤمنين بقراءة ما تيسر منه :–

"....فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ....." **(سورة المزمل من الآية ٢٠)**

و قد علّمنا الرسول الكريم – صلى اللّه عليه وسلم – فى حديث شريف أن قارىء القرآن و هو ما هِرٌ به مع السفرة الكرام البررة ، و الذى يقرأ القرآن الكريم ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران . و التعتة هى التردّد و الصعوبة فى النطق ..فكأن من يتتعتع له مكافأة مضاعفة بسبب إخلاصه و إصراره على القراءة .

إن "**أسيد بن حضير**" فى قصته يكشف عن فضل قراءة سورة البقرة خاصة ، وفضل قراءة القرآن عامة ، فالملائكة حين تنزل و معها رحمة اللّه لسماع قارئ القرآن المخلص المطيع المتقن تؤكد على بركة القرآن فى كل زمان و مكان . نفعنا اللّه بالقرآن و أهله .

الراعـى و الـذئب !

obeikandl.com

obeikandl.com

الراعى و الذئب !

عن أبى سعيد الخدرى – رضى اللّه عنه – قال :

عدا الذئب على شاةٍ فأخذها ، فطلبه الراعى ، فانتزعها منه ، فأقعى الذئب ؟ على ذنبه، و قال : ألا تتقى اللّه ، تنزع منى رزقاً ساقه اللّه إلىّ ؟ !

فقال الراعى : يا عجبى . ذئبٌ وقع على ذنبه يكلمنى كلام الإنس ؟ !!

فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد – صلى اللّه عليه وسلم – بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق !!

قال : فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فأخبره و أسلم .

فأمر رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فنودى : الصلاة جامعة ، ثم خرج رسول اللّه، **فقال للراعى :** " **أخبرهم** " فأخبرهم : فقال الرسول – صلى اللّه عليه وسلم :

صدق و الذى نفسى بيده ، لا تقوم الساعة حتى يكّلم السباع الإنس ، و يكلّم الرجل عَذبَة سوطه ، و شِراكَ نعله ، و يخبره فخْذُه ، بم أحدث أهله بعده "

(حديث صحيح ، أخرجه أحمد و الترمذى و آخرون).

....

هذه قصة متكاملة الأركان بالمعنى الفنى ، ففيها الحدث و الشخصيات و الحوار والحبكة و البداية و الذروة و النهاية ، و هى قبل ذلك و بعده ، تحقق الغاية الدينية الأساسية التى تتغيّاها القصة النبوية ، مثلها مثل القصة القرآنية ، التى تجعل الهدف الدينى هو الأصل فى بناء القصة و تسلسل أحداثها ، سواء اتفق هذا البناء مع المعايير الفنية التى يعرفها الناس فى قصصهم الذى يكتبونه بأيديهم أو لا .

إن القصة النبوية فى الحديث الشريف ، تقدم وقائع حقيقية ، و أبطالاً حقيقيّن، وتقوم على التشويق الذى يجعل منها قصة حيّة و نامية ، تصل إلى غايتها فى سلاسة ويسر.

و تبدأ القصة بحكاية تثير العجب حقّاً ، حيث يعدو ذئب على شاة و يخطفها و يذهب بعيداً ، و لكن الراعى صاحب الشاة ، يتعقبه و يطلبه ، و يجرى وراءه ، حيث يلحق به ، و ينتزع منه الشاة المسروقة أو المخطوفة .. ويفاجأ الراعى بأن الذئب يقعى على ذنبه ، أى على ذيله أو مؤخرته مع رفع قائمتيه الأماميتين ، ثم يتكلم كلام البشر أوالإنس ، و يخاطب الراعى بمنطقية مذهلة ، و يقول له :

obeikandi.com

– ألا تتقى اللّه ؟ تنزع منى رزقاً ساقه اللّه إلىّ؟

ومنطق الذئب هنا صحيح ، فهو منطق الغابة ، التى يعيش فيها الأقوى سيداً ، أما الضعيف فلا مكان له ، إلا أن يكون فريسة لغيره ، يفترسها من يملك القوة . و هو منطق يطبقه بعض البشر الذين خلا قلبهم من الإيمان و الخوف من اللّه ، فيعتدون على الضعفاء و يسلبونهم حقوقهم و ممتلكاتهم ، بل أرواحهم فى أحيان كثيرة .

الراعى يأخذه العجب من منطق الذئب الذى يتكلم بكلام الإنس أو البشر ، فيصيبه الذهول و الدهش ...ولكن الذئب يقول للراعى : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد – صلى اللّه عليه وسلم – بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق !!

ووجه العجب هنا ، أن النبى – صلى اللّه عليه وسلم – أمّىّ ، لا يعرف القراءة و لا الكتابة ، ولم يجلس إلى الرواة أو المؤرخين كى يعرف أخبار السابقين و ما حدث لهم ولكن القرآن الكريم الذى يُوحى إليه ، يفصّل ما جرى للبشرية منذ خلق آدم عليه السلام ، ويوضح ما حدث في السموات و الأرض، و يسرد قصص الأنبياء و الرسل و غيرهم . و هذا بالمنطق العقلى ، أكثر و أشدُّ عجباً ، من كلام الذئب مثل البشر .

و يذهب الراعى إلى النبى – صلى اللّه عليه وسلم – و يخبره بما جرى ، و يعلن إسلامه ويأمر الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – بالنداء – للصلاة الجامعة ، و يأمر الراعى أن يروى للناس ما رأه من أمر الذئب الذى تكلم بكلام البشر، فيخبرهم بما جرى و حدث، و هنا يتوجه النبى–صلى اللّه عليه وسلم– إلى الصحابة معلقاً على رواية الراعى، ومصدقاً لها قائلاً:

" **صدق و الذى نفسى بيده . لا تقوم الساعة حتى يكلّم السباعُ الإنس ، و يكلم الرجل عذبةَ سوطه ، و شِراكَ نعله ، و يخبره فخْذهُ بم أحدث أهله بعده** " .

إذاً كلام الذئب و بقية السباع ، هو علامة من علامات الساعة أو قيام الساعة أو يوم القيامة ، و يضاف إليها كلام آخر ، يتمثل فى أن الرجل يتكلم مع عذبة سوطه ، أى طرف سوطه الذى يسوق به الدابة و نحوها ، ويتكلم مع شِراك نعله ، أى السير الجلد الذى يربط النعل بحيث تدخل فيه القدم ، و يتكّلم الفخذُ أو الجزءُ من جسد الإنسان بما فعل أهل الرجل فى غيابه عنهم أو بُعده عنهم .

وهذا كلُّه يؤكد صحة النبوة ، و صدق الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – و حتمية البعث و قيام الساعة ، وما يجرى فيها من حساب يترتب عليه ثوابٌ وعقابٌ ..ثم التدليل الذى لا يقبل الشكّ أو الجدل، على قدرة اللّه سبحانه و هيمنته على الكون وما فيه ومن فيه.

إن القصة المشوقة تقودنا إلى غايتها بإثبات أن اللّه على كل شىء قدير .

عقد عائشة

obeikandl.com

obeikandl.com

عقد عائشة -١

عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : خرجنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى بعض أسفاره ، حتى إذا كنّا بالبيداء ، أو بذات الجيش ، انقطع عِقْدٌ لى فأقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على التماسه ، و أقام الناس معه ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء . فأتى الناس أبا بكر ، فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبالناس ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء .

فجاء أبو بكر ، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – واضعٌ رأسَه على فخْذِى قد نام **فقال** : حبستِ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – و الناسَ ، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء؟! قالت:فعاتبنى أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده فى خاصرتى.."

(حديث صحيح ، أخرجه مالك و البخارى و آخرون)

....

تنبىء هذه القصة النبوية عن ملمح من ملامح العلاقة بين النبى – صلى الله عليه وسلم – و أهل بيته ، كما تكشف عن واقع العلاقة بين النبى – صلى الله عليه وسلم – والمسلمين ، من خلال مشكلاتهم و قضاياهم و حياتهم اليومية ....وبالإضافة إلى ذلك فهناك منهج للعلاقة بين الأب و ابنته المتزوجة يقوم على أسس التوجيه أو التربية التى تهدف إلى إقامة البيت المستقّر الذى يراعى حقوق جميع الأطراف .

و تحدثنا القصة النبوية عن سفر النبى – صلى الله عليه وسلم – مع زوجه عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها – ضمن مجموعة من الصحابة ، و تبدأ الأحداث بوصول الوفد المسافر إلى البيداء أو الصحراء ، ولكنها فى هذه القصة يُقصد بها مكانٌ اسمه ذو الحليفة قريبٌ من المدينة على الطريق إلى مكة ، وتشير عائشة – رضى الله عنها – إلى أنها غيرُ متأكدةٍ من المكان ، هل هو البيداء أو ذو الحليفة ، أو ذاتُ الجيش ، و هو مكان وراء ذى الحليفة ، و هنا انقطع عِقد عائشة ، و ضاع منها . و العقد بالنسبة للمرأة هو أداة الزينة الغالية التى تتزيّن بها لزوجها ، و تحرص عليها ، و تعّدها من أغلى ممتلكاتها ولعل هذا هو ما جعل بعض الأقوال المأثورة تشير إلى أن زينة النساء الذهب ، وزينة الرجال الأدب ، ولا يعنى ذلك بحال أن تكون المرأة عاطلة من الأدب ، ولكنّ الذهب بالنسبة لها هو أمر طبعى يتفق مع ميل النساء إلى الحلىّ و التزيّن ، ليكنّ فى أجمل صورة حسّية فى عيون أزواجهن ، بالإضافة إلى الصورة المعنوية و النفسيّة التى تقرّب بينهن وبين الأزواج .

لقد اهتم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأمر العقد الذى ضاع من عائشة ، وراح يلتمسه أو يبحث عنه ليجده و يردّه إليها و يهدئ خاطرها ، و يعيده إليها حيث تسعدها عودته ، و تسرّها ..

فى ذلك الوقت ، كان الناس الذين مع الرسول – صلى الله عليه و سلم – فى سفرهم يعيشون أزمة أخرى أو مشكلة أخرى حيويّة ترتبط بوجودهم و مصيرهم ، كما تؤثر أيضا فى عبادتهم ..وهى عدم وجود الماء . فهم فى مكان مقفر لا يوجد فيه ماء ، ولذا سُمّى البيداء أى الصحراء ، لخلوه من الماء ، مع أن له اسما آخر ، وهو ذو الحليفة أو ذات الجيش.. ..وليس مع القوم ماءُ يكفيهم لأغراضهم المختلفة ...

وهنا كان على الناس أن يستنجدوا بقائدهم وزعيمهم أو نبيّهم -صلى الله عليه وسلم- ليحّلَ لهم المشكلة ، و يجدَ لهم مخرجاً ، ولكنهم لم يستطيعوا اللقاء به – صلى الله عليه وسلم .

كان التصرف الطبيعى أن يذهب الناس إلى أبى بكر ، أقرب الناس إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا ، وبدا لهم أن عائشة – رضى الله عنها – قد استأثرت بالرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم- فمنعته عن الناس، أو حرمت الناس من لقائه ، وهو ما يتبدى فى تساؤلهم الإنكارى:

" **ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله – صلى الله عليه وسلم ، وبالناس وليسواعلى ماء ، وليس معهم ماء ؟** "

وكان على أبى بكر – رضى الله عنه – أن يتحرك لمساعدة الناس ، ويدخل على الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى مكان إقامته ، فيجده قد وضع رأسه ، على فخذ عائشة ونام .

وكأن أبا بكر قد تأثر بكلام الناس، وبما رأى من نومه -صلى الله عليه وسلم- على فخذها بينما الناس، يعانون من عدم وجود الماء، فراح يعاقب ابنته، ويذكر لها معاناة الناس.

عائشة رضى الله عنها، تتحدث عن أبيها وتذكر اسمه " **فعاتبنى أبو بكر** "، وكأنه صار أجنبيا منها ، لأنه لم يتعامل معها بمنطق الأب الحانى الرقيق ، ولكن بمنطق الأب الحازم الصارم، الذى يوجه ابنته إلى السلوك الصواب فى مثل هذه المناسبات التى تقتضى أن تتخلى عن الوضع العادى الذى يختلف عن الوضع الاستثنائى وهو الوضع الذى يعيشه المسلمون فى سفرهم، حيث لا يوجد ماء، والماء فى الصحراء عصب الحياة وأساسها، وهو وسيلة الطهارة الكبرى و الطهارة الصغرى – أى الغسل والوضوء ..ولذا كان غضب أبى بكر حادّاً وغير عادىّ...

عقد عائشة -٢

عاتب أبو بكر – رضى الله عنه – ابنته عائشة زوج الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقال ما شاء الله أن يقول تعبيراً عن غضبه الحاد لدرجة أنه راح يطعن خاصرتها بيده . تقول عائشة-رضى الله عنها: " فلا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- على فخذى ، فقام رسول الله-صلى الله عليه وسلم- حين أصبح على غير ماء . فأنزل الله سبحانه وتعالى آية التيمم فتيمموا .

فقال أسيد بن حضير : جزاك الله خيراً ، فوالله ما نزل بك أمر قط إلاّ جعل الله لك منه مخرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركة. **ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر** .

فقالت عائشة : فبعثنا البعير الذى كنت عليه ، فوجدنا العقد تحته ! " .

....

لا شك أن أبا بكر فى صدقه و إخلاصه، حتى وهو غاضب على ابنته، من أجل مصلحة الإسلام و المسلمين، حتى اضطر إلى عتابها بالقول الحاد الذى يبدو وأنه استمر طويلاً أتبعه بطعنها فى خاصرتها بيده تعبيراً عن الغضب، كان يهدف إلى أن يّحل المسلمون مشكلتهم المتمثلة فى عدم وجود ماء مع المسافرين يستخدمونه فى العادات والعبادات ...

وكانت عائشة نموذجاً للابنة المطيعة التى تستجيب لأبيها و لعتابه أو غضبه الذى عبّر عنه بالقول و الفعل ، فتصبر عليه ، وفى الوقت ذاته تصبر على نوم الرسول – صلى الله عليه وسلم – على فخذها، فلا تتحرك كى لا توقظه أو تقطع عليه متعة الاستغراق فى النوم، مما يدل على مراعاتها لواقع الحال، وللآداب العامة والخاصة

التى تفرض على كل مسلم ألا يزعج غيره بسلوك بقلق راحته أو يؤثر على خصوصيته .

وقد أدان القرآن الكريم وفد بنى تميم ، عندما جاءوا إلى المدينة المنوّرة ، لمقابلة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فخرجوا على الآداب المطلوبة ، وراحوا ينادونه فى وقت القيلولة و هو نائم ، من وراء الحجرات ، وصاحوا عليه ليخرج إليهم ...ونزلت الآيات الكريمة فى سورة الحجرات تشير إلى ذلك و تستنكره :

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ" **(سورة الحجرات الآيات من ١-٥)**

والآيات الكريمة مع بقية آيات السورة تطرح العديد من الآداب العامة والخاصة التى يجب أن يراعيها المسلم مع الآخرين ، بهدف بناء مجتمع خال من المتاعب و الأضغان ويكون التفاضل فيه قائماً على أساس التقوى ..

ولعل حرص عائشة – رضى الله عنها – على تقبل ما فعله أبوها ، وفى الوقت نفسه تحّملها غضبه و طعنه بيده لخاصرتها حرصاً على عدم إزعاج الرسول الكريم –

صلى الله عليه وسلم – يؤكد على تمسّكها بآداب الإسلام و قيمه و سلوكياته ، مما يشكّل قدوة لغيرها من المسلمات و المسلمين .

ثم نرى من تطور أحداث القصة أن حلّ الأزمة القائمة أو عدم وجود الماء ، جاء بتشريع يخفف عن المسلمين ، ويحلّ معضلة التطهر من أجل الصلاة أو العبادة ، فقد أصبح الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولم يجد ماءً ، و هنا نزل الوحى ليشرّع التيمم ، و نزلت الأية الكريمة توضح ذلك للناس ، حتى لا يقصروا عن أداء الصلاة فى أوقاتها .

يقول تعالى :-

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" **(سورة المائدة الآية ٦)**

و تيمم الصعيد الطاهر ، أى التراب الطاهر الذى يُمسح به الوجه و اليدين ، تخفيفاً على المسلمين ، و تيسيراً لهم ورحمة بهم .

و هذه الرحمة و ذلك التيسير و ذاك التخفيف ، كانت فى قصتنا ، دافعاً لأسيد بن حضير ليعترف بدور أبى بكر و ابنته عائشة ، فى خدمة الإسلام و المسلمين، حيث يخاطب أبا بكر رضى الله عنه – جزاك الله خيراً ، فوالله ما نزل بك أمر قط ،

إلاّ جعل اللّه لك منه مخرجاً وجعل للمسلمين فيه بركة. ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر" .

وإذا كانت النعمة الإلهية الكبرى بالتيسير على المسلمين بالتيمم ، فهنالك نعمة صُغرى أنعم بها على عائشة ، حين نهض البعير الذى كانت عليه ، فعثروا على العقد الضائع تحته ، وبالطبع كانت فرحتها به كبيرة ، لأنه يمثل لها شيئاً كبيراً .

وفى كل الأحوال فإن الحديث الشريف يقدم لنا صورة للتعامل داخل الأسرة المسلمة تقوم على احترام الأبناء للآباء ، وحرص الزوجات على راحة الأزواج ، والاعتراف بنعمة اللّه و فضله على الأشخاص و المجتمعات ...فضلاً عن مراعاة الآداب العامة و الخاصة لمجتمع يتفاضل أفراده بالتقوى و العمل الصالح .

obeikandl.com

العيد الأسبوعى

obeikandl.com

obeikandl.com

العيد الأسبوعى -١

عن أنس بن مالك – رضى اللّه عنه – قال : رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم:-

"أتانى جبريل، وفى يده كالمرآة البيضاء، فيها كالنكتة السوداء، فقلت: يا جبريل ما هذه ؟

قال : الجمعة .

قلت : وما الجمعة ؟ قال لكم فيها خير .

قلت : وما لنا ؟

قال : يكون عيداً لك و لقومك من بعدك ..

قلت : وما لنا فيها ؟

قال : لكم فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم ؛ يسأل الله فيها شيئاً من الدنيا والآخرة هو له قسم إلا أعطاه إياه ، أو ليس بقسم إلا ادّخر له عنده ما هو أفضل منه، أو يتعّوذ به من شرّ هو عليه مكتوب إلا صرف عنه من البلاء ما هو أعظم منه .

قلت له : وما هذه النكتة فيها ؟

قال : هى الساعة ، هى تقوم يوم الجمعة ، وهو عندنا سيد الأيام ، و نحن ندعوه يوم القيامة ...يوم المزيد....."

(حديث صحيح أخرجه ابن أبى شيبة و الطبرى و آخرون)

. . . . . .

تعتمد هذه القصة النبوية فى مجملها على الحوار و التصوير لبيان فضل يوم الجمعة و بركته على المسلمين، حيث يمثّل يوم عيدهم الأسبوعى، الذى يلتقون فيه اجتماعيا وروحّياً، ويتفرغون فيه لمزيد من العبادة والاتجاه إلى اللّه سبحانه يطلبون منه المغفرة على ما فرطوا فيه ، و العون على ما ينتظرهم من عمل و عبادة .

ويحكى أنس بن مالك رضى اللّه عنه، ما جرى بين جبريل عليه السلام، والنبى صلى اللّه عليه وسلم ، فى لقاء بينهما ، حيث جاء جبريل و فى يده ما يشبه المرآة البيضاء المصقولة ، ولكن هذه المرآة لا يكتمل بياضها و صقلها لأن بها "نكتة" سوداء أو بقعة سوداء تفسد بياضها و صفاءها .. وهنا لا بد أن يتساءل الرسول -صلى اللّه عليه وسلم-عن السّر فى ذلك، ويطلب الإجابة من جبريل ليفّسر له ما يرى .

ويسأل الرسول – صلى الله عليه وسلم – يا جبريل : ما هذه ؟ كأنه يستغرب أن تكون المرأة فيها بقعة غريبة . ولكن جبريلَ عليه السلام يخبره أنها ليست شيئاً مزعجاً أو غير طيب..بل هى أمر فيه خير وفيه فائدة له وللمسلمين،بل ولغير المسلمين.

إن جبريل يقول له رداً على سؤاله ما هذه ؟ : الجمعة ..وتأمل ما فى الإجابة من إيجاز يعتمد على الحذف ليكون للإجابة وقعها المؤثر فى نفس الرسول – صلى الله عليه وسلم – وبدلاً من أن يقول له : هذه هى الجمعة .. يقول له : الجمعة . وهو ما يشوقه – صلى الله عليه وسلم – إلى المزيد من التساؤل ، فيقول لجبريل: وما الجمعة ؟ وتكون إجابة جبريل باعثة على تشويق أكثر ، فيقول : لكم فيها خير .. ولكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يعلم طبيعة هذا الخير وماهيته ، فيزداد التشويق ، وترقب معنى الخير و طبيعته وهو ما يفسره جبريل عليه السلام ؛ بقوله :

" **يكون لك عيداً ولقومك من بعدك** ..."...

و العيد فى كل الشرائع و العقائد ، هو يوم فرح و بهجة وسرور، و اجتماع شمل الأسر والمجتمعات و الشعوب على مناسبة واحدة ، يرون فيها خروجاً على السياق اليومى الرتيب ، الذى لا يتغيّر ولا يخرج عن مساره الجاد بالعمل والجهاد المعيشي .. فيأتي هذا العيد ليحدث التغيير والتحّول ، ويتيح الفرصة للأهل والأقارب و الجيران والأصدقاء أن يتلاقوا ، ويستمتعوا برؤية بعضهم بعضاً ، و يتناقلوا أخبارهم السارة، ويتعرفوا على أحوال الحاضرين و الغائبين، و هو ما يمنح المجتمع تماسكا وصلابة ، ويقية شّر العزلة والفردية و الأنانية و الوحدة ..

العيد بالنسبة للمسلمين : يوم الجمعة لا يقتصر خيره عليهم ، ولكنهم يمتد ليشمل غير المسلمين الذين يعيشون فى المجتمع الإسلامى ، حيث تقوى روابطهم بأبناء هذا المجتمع، ويستفيدون بهذه المناسبة فى طرح مشكلاتهم وتفقد مصالحهم والاستفادة من التواصل الاجتماعى .

أضف إلى ذلك أن يوم الجمعة أو يوم العيد الأسبوعى ، يكون فرصة ذهبية للمسلم التقى و حتى الذى وصل قصّر فى أمر من أمور الدين أو الحياة أو الآخرة ، كى يدعو ربّه ليعطيه ما يريد ..ففى هذا اليوم / الجمعة ، ساعة لا يوافقها أو لا يصادفها عبد مسلم ويسأل اللّه شيئاً إلا أعطاه إياه . سواء كان المطلوب مقسوماً له أو غير مقسوم ..فالأول يتحقق ويُجاب إليه ، أما الآخر ، فإن اللّه يدّخر له ما هو أفضل منه وأحسن ، أو يكافئه بشىء أكبر من كل ذلك ، بصرف البلاء عنه حين يتعوّذ أو يطلب الحصانة و الحماية من الشرّ الذى كتب عليه .

إذاً ، فهذا العيد الأسبوعى الذى صورته القصة على هيئة مرآة صقيلة ، تسّر الناظرين، تحمل فى الوقت ذاته إشارة إلى بعيد أو قريب ، وهو يوم القيامة ، من خلال النكتة السوداء أو البقعة السوداء فى هذه المرآة ، و الجمع بين العيد و القيامة لا بد أن تكون له دلالة فى وعى المسلم الذى يؤمن بربه وينتظر الآخرة، وهو ما سوف نسعى إلى محاولة فهمه .

obeikandl.com

العيد الأسبوعى -٢

فى حديث أنس بن مالك رضى اللّٰه عنه ، يخبرنا أن الرسول – صلى اللّٰه عليه وسلم – عرف من جبريل عليه السلام – أهمية يوم الجمعة بوصفه عيداً ، كما عرف أن الساعة تقوم يوم الجمعة ، الذى يدعوه الملائكة يوم القيامة ، يوم المزيد ، وهو ما دفع الرسول – صلى اللّٰه عليه وسلم – إلى التساؤل :

" **مِمّ ذاك ؟**

قال : لأن ربك تعالى اتخذ فى الجنة وادياً من مسك أبيض . فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليّين على كرسيه تبارك وتعالى ، ثم صف الكرسىّ بمنابر من ذهب، مكّلله بالجواهر، ثم يجىء النبيّون حتى يجلسوا عليها ، وينزل أهل الغرف حتى يجلسوا على ذلك الكثيب ، ثم يتجلى لهم ربك وتعالى ؛ **ثم يقول** :

" **سلونى أعطكم** "

قال : فيسألونه الرضا ، فيقول : رضائى أُحلكم دارى ، وأنُيلكم كراسى ، فسلونى أعطكم .

قال : فيسألونه . فيشهد أنه قد رضى عنهم .

قال: فيفتح لهم مالم تر عين ، ولم تسمع أذن، ولا يخطر على قلب بشر....."

....

لا ريب أن النكتة السوداء التى رأها النبى – صلى اللّٰه عليه وسلم – فى المرآة التى كانت بيد جبريل عليه السلام ، كانت مثار تساؤله واهتمامه ، فلها دلالة ولها معنى وتحتاج إلى تفسير، بعد أن فسّر معنى المرآة بأنها الجمعة التى فيها خير للمسلمين و لغير المسلمين من أبناء المجتمع الإسلامى ، أو المقيمين فيه ...ثم إنها تمثل لحظة الإجابة أو الاستجابة لدعاء يدعوه المسلم فى هذا اليوم ، فيعطى ما قُدّر له ، ويخفف عنه مما هو مكتوب عليه من شىء لا يحبه ويستعيذ باللّٰه منه .

إن جبريل عليه السلام ، يحدّد النكتة التى فى المرآة البيضاء الصقيلة ، بأنها الساعة .....أى يوم القيامة ، حيث يعرف هذا اليوم عند الملائكة بأنه "**سيّد الأيّام**" ويدعونه يوم القيامة أو يوم المزيد .

وفى تفسير المزيد نجد عجباً ...وهو ليس عجباً ؛ لأن فضل ربك لا يُحّد ولا يُعّد ...ويوضّح جبريل عليه السلام " يوم المزيد" بأن الله تعالى يتخذ فى الجنة وادياً من مسك أبيض ، فإذا جاء يوم الجمعة نزل من علّيين على كرسّيه تبارك وتعالى والكرسى محفوف بمنابر من ذهب مزينة بالجواهر أو مكللّة بها كأنها تيجان على حوافهّا و حواشيها ...وبعدئذ يحضر النبيّون و المرسلون ليجلسوا على هذه المنابر أو الكراسى العالية ، ثم ينزل أهل الغرف ويجلسوا فى هذا المكان ، حيث يتجلى لهم ربك تبارك وتعالى ...وهذا التجلّى يمثل أعظم النعم التى ينعم بها أهل الجنة ممن اصطفاهم الله سبحانه لرؤيته و التنعّم بمشاهدته ...فهؤلاء هم أولياء الله الذين وصفهم بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

"أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ " (سورة يونس الآيات من ٦٢-٦٤)

هل يكون التجلى داخلاً فى مجال البشرى الأخروية؟ ربّما ...ويكفى أنه يمنع عن أوليائه الخوف و الحزن . ويبشرهم بالجنة فى الدنيا و الآخرة . ألم يقل سبحانه:

"لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ" (سورة يونس الآيات من ٢٥-٢٦)

دار السلام هى الجنة ، و الصراط المستقيم هو العمل الحسن ، و الحسنى هى الجنة أيضا ، و الزيادة هى الرضا الذى أشارت إليه القصة التى بين أيدينا ، وأشارت إليه سورة التوبة من قبل :

"....وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ....."

(سورة التوبة من الآية ٧٢)

والرضوان هو الرضا وهو ما فسّره بعض العلماء بالرؤية للذات الإلهية .

وأيّاً كان الأمر فإن التجلّى الإلهى يوم الجمعة، يوم العيد الأسبوعى للمسلمين، ويوم القيامة ويوم المزيد ؛ ينعم فيه أهل الجنة من الأنبياء والمرسلين والصالحين (أهل الغرف) بسؤاله سبحانه لهم :

" **سلونى أعطكم** " .

فيسألونه الرضا . وتأمل طبيعة المطلب الذى قد يبدو لدى البعض شيئاً هيّناً أو بسيطاً ، إنه – كما سبقت الإشارة الرضوان – ثم هو يحمل معنى السلام والأمن والنعيم.

إنه سبحانه وتعالى يخبرهم بأنه رضى عنهم ، فقد أحلهم داره ، وهى الجنة وأعطاهم الكراسى جواره ، ويسألونه ، ويشهدهم أنه قد رضى عنهم .

إذاً هذا يوم المزيد الذى يشهد فيه أهل الجنة من الأنبياء والصالحين الرضا الإلهى يفتح لهم مالم ترعين ، ولم تسمع أذن ، ولا يخطر على قلب بشر.

ولا شك أن الذين عرفوا الله فى الدنيا ، واقتربوا منه باليقين والإيمان والعمل الصالح والجهاد الخالص لإعزاز الدين وأهله ، يرون ذلك أمراً طبعّياً، لا جدال فيه ، فإيمانهم بمن خلق هذا الملكوت غير المحدود ، وهذه الكائنات التى لا حصر لها ، ويسّير العالم بقضائه وقدره ، قادر على أن ينعم بالمزيد على أوليائه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر.

العيد الأسبوعى -٣

يتجلى اللّه – جل وعلا – على أنبيائه و أهل الغرف، ويسألونه الرضا، فيحلّهم داره ويمنحهم جواره، ويرضى عنهم، ويفتح لهم ما لم ترعين، ولم تسمع أذن، ولا يخطر على قلب بشر ....ويواصل أنس بن مالك -رضى اللّه عنه- حديثه عن الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – **فيقول** : " **قال** : وذلكم مقدار انصرافكم من يوم الجمعة ، ثم قال: يرتفع ، ويرتفع معه النبيون ، و الصديقون ، و الشهداء ، و يرجع أهل الغرف إلى غرفهم و هى درة بيضاء ليس فيها فصم ولا قصم ، أو درة حمراء ، أو زبرجدة خضراء، فيها غرفها و أبوابها مطرزة ، وفيها أنهارها و ثمارها متدلية .

قال : فليسوا إلى شىء أحوجَ منهم إلى يوم الجمعة ، ليزدادوا إلى ربّهم نظراً وليزدادوا منه كرامةً ".

وفى رواية أخرى : ثم يقول اللّه : اكسوا عبادى فيكسون ، ويقول : أطعموا عبادى فيطعمون ، **ويقول** : اسقوا عبادى فيسقون ، ويقول : طيبوا عبادى فيطيبون ، ثم يقول: ماذا تريدون؟ **فيقولون** : ربنا رضوانك . قال : يقول: رضيت عنكم ، ثم يأمرهم فينطلقون، وتصعد الحور العين الغرف، وهى من زمردة خضراء ومن ياقوتة حمراء (صدق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم).

....

قضية الرضا فى هذه القصة النبوية الشريفة تعيدنا إلى الاهتمام الملحوظ بيوم الجمعة فى التشريع الإسلامى ، فقد وردت سورة كاملة تحمل اسم سورة الجمعة ، وهى من السور القصار أو سور المفصّل، وتركّز على تنزيه اللّه وتسبيحه فى السموات و الأرض و عمومية الرسالة الإسلامية للبشرية جمعاء ، مع إشارة إلى تفريط اليهود فى التوراة وعدم انتفاعهم بها وزعمهم أنهم أولياء للّه من دون الناس ...

بيد أن أهم ما تركّز عليه سورة الجمعة هو التحذير من التخلف عن صلاة الجمعة من أجل البيع و الشراء ، و استنكار ما فعله بعض الناس حين انصرفوا عن خطبة الرسول – صلى اللّه عليه وسلم من أجل التجارة فى أثناء الاستعداد لصلاة الجمعة .

لذا نزلت الآيات الكريمة قاطعةً و حاسمةً :-

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ" **(سورة الجمعة الآيات من ٩-١١)**

والآيات الكريمة واضحة فى مطالبة المسلمين بالمسارعة لأداء صلاة الجمعة . بمجرد أن يسمعوا الأذان ، بل إن المذاهب الفقهية تستند إلى أحاديث عديدة فى ضرورة التبكير قبل الأذان و الذهاب إلى المسجد ، وقراءة القرآن الكريم أو الاستماع إليه حتى ينهض خطيب الجمعة، فيلقى الخطبتين ويؤم المصلين فى ركعتى الجمعة...

وبالطبع ؛ فإن أصحاب الأعذار و الضرورات و المرضى و النساء لهم أحكام خاصة فصّلتها كتب الفقه،وقد أجمع الفقهاء على أن المسلم الذى تجب عليه صلاة الجمعة لا يجوز له التخلف عنها ، وشرحوا ملامح الصورة التى ينبغى أن يكون عليها من يذهب لأدائها من ملبس حسن، ونظافة داخلية و خارجية، وذكرٌ لله تعالى، وبُعْدُ عن سفاسف الأمور، مع الصمت والإصغاء لخطيب الجمعة،كما فصلوا القول فى طبيعة الخطبة ومضمونها وأسلوبها ومدتها وطريقة التأثير فى الناس، وهو ما يحتاج إلى مناسبة أخرى لتناوله وبيانه..

بيد أن الأمر كله فى بيان فضل يوم الجمعة ، يبدو ساطعاً فى هذه القصة التى بين أيدينا ، حيث تكشف لنا مدى الكرم الإلهى لعباده من أهل الجنة الذين اختصهم برضاه ورحمته فى ذلك اليوم، الذى يسمى يوم المزيد ...من العطاء و الخير، ولاحظ أن لفظة "الخير"وردت فى الآية الكريمة " ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون"، حيث تدعو المسلمين إلى ترك التجارة ، وهو ما جعل المالكية مثلاً يحرمون البيع والشراء بمجرد بدء الخطبة الأولى ، فضلاً عن أن هناك من جعل العقود التى تعقد فى هذا الوقت فاسدة و باطلة ، و استدلوا بالحديث الشريف الذى يشير إلى تمنى حرق بيوت من يتخلفون عن أداء صلاة الجمعة وهم قادرون على أدائها ...

على كل ، فإن الرضوان الإلهى الذى يتمثل فى التجلى والعطاء لأهل محبته، ويعطينا دليلاً قاطعاً على أهمية يوم الجمعة فى حياة المسلمين الذين اختصهم برحمته ورضوانه، فهم ليسوا إلى شىء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا إلى ربهم نظراً، وليزدادوا منه كرامة .

إن العطايا الحسّية من دُرر حمراء وبيضاء وخضراء والغرف والأنهار والثمار والكساء والطعام والشراب والطيب والحور العين، و الأبواب المطرزة... وغير ذلك لايعدل عند أهل محبته سبحانه رؤيته ورضوانه، إنه يوم المزيد الذى ينتظرونه بشوق و لهفة .

إن يوم الجمعة ، هو يوم العيد ، ويوم المزيد ، وهو اليوم الذى ينبغى أن يحتفى به المسلمون بصورة أكثر وربماً و إخلاصاً و صدقاً ، ويجب أن يقودهم إلى فهم المعنى الحقيقى للإسلام بالطاعة و العبادة و العمل الصالح الذى يحقق العزّة و الكرامة ، ويهيىء للجنة و الرؤية إن شاء الله تعالى .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفارس والراعى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفارس والراعى -١

عن عبد اللّه بن عمرو – رضى اللّه عنه – قال : كنّا عند رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فجاء رجل من أهل البادية عليه جبّة سيجان مزرورة بالديباج ، فقال :

" **ألا إن صاحبكم هذا ، قد وضع كل فارس ابن فارس .**

قال : يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ، ويرفع كل راع ابن راع .

قال : فأخذ رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – بمجامع جبته ، وقال :

" ألا أرى عليك لباس من لا يعقل ؟!"

ثم قال :

" إن نبّى اللّه نوحاً – صلى اللّه عليه وسلم – لما حضرته الوفاة قال لابنه: إنى قاص عليك الوصية ، آمرك باثنتين ، و أنهاك عن اثنين ، آمرك بـ(لا إله إلا اللّه) ، فإن السموات السبع لو وضعت فى كفة ، ووضعت لا إله إلا اللّه فى كفة ، رجحت بهنّ لا إله إلا اللّه ، ولو أن السموات السبع و الأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا اللّه ، وسبحان اللّه وبحمده ، فإنها صلاة كل شىء ، وبها يرزق الخلق ، و أنهاك عن الشرك و الكبر ....."

(حديث صحيح أخرجه البخارى و آخرون)

. . . . . .

تقدم لنا هذه القصة النبوية فى الحديث الشريف أكثر من دلالة مهّمة فى المنهج الإسلامى ، الذى يحكم علاقات المسلمين مع بعضهم ومع غيرهم ، ومع من سبقهم من الأمم و الأنبياء فهذا المنهج يقوم على المساواة بين الناس ، لا فضل لعربى على أعجمى ، و لا لغنى على فقير ولا لكبير على صغير إلا بالتقوى و العمل الصالح .

وهذا المنهج يقوم على المسالمة بين المسلمين و غيرهم ، وتبادل المنافع و المصالح، طالما كانوا مسالمين موادعين .

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" **(سورة الحجرات الآية ١٣)**

وهذا المنهج يقوم باعتبار الإسلام رسالة واحدة أرسلها رب العباد لإصلاحهم و إسعادهم ، من لدن آدم عليه السلام حتى محمد صلى الله عليه وسلم . فالدين وحدة واحدة تقوم على توحيد الله عزوجل و الإيمان بهذه الوحدانية يقود إلى الطاعة و الالتزام بأوامره ونواهيه .

وقد جاءت إشارات عديدة فى القرآن الكريم إلى وحدة الدين الذى هو الإسلام وقد جاء به الأنبياء و الرسل مؤكداً على الوحدانية الإلهية ، وإن اختلف التشريع بالنسبة للعصور و الأزمان ، و هو ما أوجب علينا نحن أتباع محمد – صلى الله عليه وسلم – أن نؤمن بالأنبياء جميعاً ، ولا نفرق بين أحد منهم .

"ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ " (سورة البقرة الآية ٢٨٥)

ونستطيع من خلال هذه الدلالات أن نفهم القصة النبوية فى هذا الحديث الشريف ، وبطلها رجل من أهل البادية ، بدت عليه سمات أهل العز والجاه، فهو يلبس جبة سيجان وهى نوع غال من الثياب لا يرتديه إلا أصحاب المكانة و الثروة فى قومهم ، وهى بالإضافة إلى غلائها مزودة بالديباج ، وهو لون من ألوان الحرير أو القماش الفخم . وكلامه – أى رجل البادية – يدل على أنه من علية القوم الذين اشتهروا بالشجاعة والفروسية و القدرة على اقتحام الأهوال دون خوف أو وجل ... وهذه صفات لها مكانتها فى نفوس أهل البادية الذين كانت تنطوى حياتهم الخشنة و الشاقة على كثير من الصعاب و المخاوف فيواجهونها برجالهم الأقوياء الصناديد، الذين تدين لهم بقية القبيلة أو العشيرة بالفضل و التقدير و الاعتزاز.

و يبدو أن رجل البادية تصّور أن الإسلام حين يدعو إلى المساواة ، فهو ينزل بأقدار الناس أو يرفعها ، رغبة فى إعزاز أولاء أو إذلال هؤلاء ، دون معيار أو ميزان ، وهو ما جعله يطرح سؤاله مستنكراً :

" ألا إن صاحبكم هذا – يقصد النبى – صلى الله عليه وسلم – وضع كل فارس ابن فارس " ويقصد بكلمة " وضع" أى أنزله عن مكانته أو قلل من قدره وقيمته ، وفى الوقت ذاته رفع كل راع ابن راع ، أى وضعه فى مكانة أعلى لا يستحقها ولا تليق به ....ورجل البادية هذا يستنكر – كما هو واضح – أن يتساوى الفارس بالراعى ، ويرى فى ذلك خللاً فى المعايير و انقلاباً فى الموازين ...

ويستشف من هذا الفهم أن الرجل لا يدرك كنه الإسلام ولا طبيعته ، ولعل له عذره فى هذا السياق فهو يعيش فى البادية ، ولا يتصل بالقرى أو الحضر ، التى تبدو فيها المعرفة متاحة أكثر من الصحراء،ولذلك يستغرب أن يتساوى الفارس والراعى.

وهنا يلقنه الرسول – صلى الله عليه وسلم – درساً بليغاً ، عن طريق الإقناع و التاريخ فهو – صلى الله عليه وسلم – يمسك بمجامع جبته ، و يواجهه أولا بسؤال استنكارى يقابل سؤاله :

" **ألا أرى عليك لباس من لا يعقل ؟** "

و اللباس هو الثياب التى يرتديها البدوى المستنكر لمساواة الفارس بالراعى ... وكأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول له : : إن هذه الثياب الجميلة المزركشة التى ترتديها لا تليق بك-لأنك تسأل سؤالاً لا يخرج من فم عاقل يفكر تفكيراً سليما.

" **ألا أرى عليك لباس من لا يعقل ؟** "

وهنا يؤكد النبى – صلى الله عليه وسلم – على قيمة العقل ، التى يسعى نفر من خصوم الإسلام أو أدعيائه إلى الإشارة إليها بما ينتقص من موقف الإسلام من قيمة العقل ، بينما القرآن الكريم و الحديث الشريف و تراث الأمة المضىء ، تجمع كلها على أهمية العقل فى الإسلام و ضرورته فى مجال الإيمان و العمل جميعاً . و ما أكثر الآيات والأحاديث و المواقف التى جعلت للعقل مكانة تقع فى ذروة الفكر الإسلامى ، و تؤكد على ضرورته للوصول إلى الإيمان و الالتزام بالطاعة .

الفارس و الراعى -٢

رأينا أن الرسول – صلى الله عليه وسلم فى حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنه، قد أخذ بمجامع جبة الرجل البدوى الذى استنكر مساواة الفارس بالراعى، وسأله مستنكراً: ألا أرى عليك لباس من لا يعقل؟" ثم قص عليه وصية نوح -عليه السلام- وهو يحتضر لابنه .

ويكمل عبد اللّه بن عمرو الحديث فيقول بعد أن نهى نوح – صلى اللّه عليه وسلم – عن الشرك و الكبر :

قال :أو قيل ، يارسول اللّه : هذا الشرك ، قد عرفناه ، فما الكبر؟

قال : أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان ؟

قال : "لا" ؟

قال : هو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه ؟

قال : "لا" ؟

قيل : يا رسول اللّه فما الكبر ؟

قال : " **سَفَهُ الحق وغَمْصُ الناس** " .

....

بعد أن بَين الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – قيمة العقل فى المنهج الإسلامى للحياة واستنكر أن يكون رجل البادية بهذه الهيئة المهيبة و اللباس المبهر ، دون أن يفكر فى حقيقة المساواة فى الإسلام بين الفارس و الراعى، ويعتقد -بشكل مقلوب- أن الإسلام يقلل من قيمة الأول ويرفع من قيمة الآخر ، فإن الرسول -صلى اللّه عليه وسلم- يشرح المنهج الإسلامى الذى يرسم علاقة المسلمين ببعضهم من خلال أثر تاريخى نبوى يرتبط بسيدنا نوح عليه السلام و هو يحتضر حيث أوصى ابنه وصيّة مهّمة يجب أن يفقهها رجل البادية ، وكل رجل ينتمى إلى الإسلام ، أو غير الإسلام ، لأنها تردّ فرية ظالمة، ودعوى باطلة، كما تفسر المنهج الإسلامى تفسيراً دقيقاً وصحيحاً .

نوح -عليه السلام- يوصى ولده، ويقص عليه الوصية التى تتلخص فى أمرين ونهيين. الأمران يتعلقان بالإيمان و العبادة، و النهيان يتعلقان بالسلوك والسيرة .

فأما الأمران اللذان يتعلقان بالإيمان والعبادة فهما لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده .

لا إله إلا الله . هى الأمر الأول و يتعلق بالإيمان و توحيد الله عزّوجلّ . ومن يؤمن بوحدانية الله ، فقد اطمأن قلبه وسار على النهج المستقيم ، وصار قوّياً بربه لا يخشى أحداً غيره ، ولا يرهبه جبروت أو طغيان أو خوف على حياة أو رزق . إن التوحيد معناه التسليم المطلق لله ، فى كل الأمور ، و الاعتماد عليه فى كل الأعمال والأحوال ، و هو ما يجعل المسلم يشعر بضآلته أمام القوى الجبار ، فلا يتكّبر ولا يختال ولا يغتّر ...

ومن ثم نفهم قول نبى الله نوح – عليه السلام – فإن السموات السبع ، والأرضين السبع لو وضعت فى كفة ، ووضعت لا إله إلا الله فى كفة ، رجحت بهّن لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع و الأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله "

ومعنى هذا أن السموات السبع و الأرضين السبع ، وهن أعظم ما خلق الله وأضخمه أيضا ، ولا يستطيع الناس جميعاً أن يؤثروا عليهن بما يخرجهن عن هذه الضخامة وتلك العظمة، إنهن يتواضعن أمام عبارة لا إله إلا الله...لسبب بسيط جداً هو:أن الله هو الذى خلقهن وهو وحده – القادر عليهن، وهو سبحانه الذى يستطيع أن يفرقهن ولو كن كتلة واحدة صماء،أو حلقة مبهمة كما ورد فى الحديث الشريف.

أما الأمر الآخر ، فهو "**سبحان الله وبحمده**" ، وحين ننطق بهذه العبارة البسيطة فى كلماتها العظيمة فى دلالاتها ، فإننا نؤكد على التوحيد أولا ، ثم نعلن الطاعة والالتزام بأوامره و نواهيه ثانيا. وتسبيح الله هو تقديسه و تعظيمه، وحمده هو الاعتراف بفضله وشكره على نعمائه ، و هو ما يعنى أن "**سبحان الله وبحمده**" عبادة

للّه الذى أمرنا أن نتحدث عنه بالعبارة الإيمانية الأولى "**لا إله إلا الله**" ...إن ترديد "**سبحان الله وبحمده**" عبادة من أفضل العبادات ومفتاح للرزق ، وقد ورد فى فضلها وعطائها الكثير من الأحاديث و الشروح .

أما النهيان ، فيترتبان على الأمرين السابقين ، وهما ترك الشرك و الكبر...

لقد عرف الصحابة معنى الشرك ، وهو ما يتناقض مع لا إله إلا اللّه ، أو ما يجعل للّه شريكا أو معينا أو وسيطاً ...فاللّه وحده هو مالك الملك، وهو الأحق بالعبادة و الطاعة دون سواه .

ولذلك قال بعض الصحابة : يا رسول اللّه ، هذا الشرك ، قد عرفناه فما الكبر ؟

وكأنهم يسألون عن موضوع ملتبس . وهو ملتبس فعلاً بدليل أن رجل البادية المعجب بنفسه و المستنكر للمساواة بين الفارس و الراعى ، لم يعرف ماهو الكبر ؟

تساءل الصحابة عن الكبر. أهو اللباس الحسن ؟ " أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان ؟ " أى مزينان بسيور جلدية مما يدل على الفخامة و التميز.

ويردّ الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – بالنفى ، فيتساءلون : أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه ؟ كناية عن الأهمية الاجتماعية للشخص وسط قومه ، ويرّد الرسول – صلى اللّه عليه وسلم بالنفى ..ويطلب الصحابة معرفة ما هو الكبر. فيوضحه الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – قائلاً سفه الحق و غمص الناس ".

وسفه الحق ، هو عدم قبول الحق ورفض الخضوع له أو النزول عنده . وهذا هو الشق الأول فى مفهوم الكبر.

أما غمض الناس ، فهو الزراية بهم و الاستخفاف ، وعدم المبالاة ، و احتقارهم و التعالى عليهم، و هذا هو الشق الثانى فى معنى الكبر.فلا اللباس الحسن، ولا المكانة الاجتماعية مهما علت ، تعنى الكبر ، ولكن الكبر رفض القبول بالحق والاستعلاء المرذول على الناس ، وهو ما ينبغى أن يفهمه رجل البادية وكل رجل أو إمرأة يؤمن بدين اللّه ...وهنا تتحقق المساواة بين الفارس و الراعى بقدر إيمانهم و استقامتهما .

أسـرى هـوازن

obeikandl.com

obeikandl.com

أسـرى هـوازن - ١

عـن عـمـرو بـن شـعـيـب عـن أبـيـه عـن جـده - رضـى اللّه عـنـه - **قال** :

كُنـاّ مـع رسـول اللّه - صلى اللّه عليـه وسـلم - بحـنين ، فلمـا أصـاب مـن هـوازن مـا أصاب من أموالهم وسباياهم ، أدركه وفد هوازن بالجعرانة، وقد أسلموا، فقالوا:

يا رسـول اللّه لـنا أصـلُ و عـشـيرة، و قـد أصـابنا مـن الـبلاء مـالم يَخْـفَ عـليـك، فامْنُـن علـينا مَنّ اللّه عـليـك ، وقـام خـطـيـبهـم زهـير بـن صُـرد ، فـقـال :

يا رسول اللّه ، إنما فى الحظائر من السبايا خالاتك ، و عماتك ، وحواضِنـُك اللاتى كُنّ يكفلْنك ، فلو أنـّا مَلَحْنَا ابن أبى شمر، أو النعمان بن المنذر، ثم أصابنا منهما مثل الذى أصابنا منك رجونا عائدتهما ، وعطفهما ، وأنت خير المكفولين ، ثم أنشد أبياتا ، **قال فيهما** :

امـنن علينـا رسـول الله فـى كـرم ... فإنـــك المـــرء نرجـــوه و نـــدّخر
امنن على بيضة قد عاقها قدر ... ممـــزق شـــملها فـــى دهرهـــا غيُـــر

و ختمهـا بـقـولـه :

لا تجعلنـــا كمـــن شـــالت نعامُتــه ... واســـتبق منـــا فإنـــا معشُـــر زُهُـــر
إنـــا لنشـــكر آلاءً وإن كُفِـــرتْ ... و عنـــدنا بعـــد هـــذا اليـــوم مـــدّخرُ

قال رسـول اللّه - صـلـى اللّه عـليـه وسـلـم :-

نساؤكم و أبناؤكم أحبُّ إليكم ، أم أموالكم ؟

فقالوا: يـا رسـول اللّه، خيرتنـا بين أحسـابنـا وبين أموالنـا: أبنـاؤنـا، ونسـاؤنـا أحب إلينا ...." **(حديث صحيح ، أخرجه أحمد و آخرون).**

***   ****   ***   ***

نعـيش مـع هـذه القصـة، لنـرى منهجـاً فـى التعامـل و السـلوك يرسـيه الرسـول -صلى اللّه عليه وسلم- مع المسلمين عامة، و قومه خاصة، كما نطالع نمطا من أنماط الحياة العربية على عهد الرسول الكريم - صلى اللّه عليه وسلم ، و هو نمط الحرب والانتصار فيها وموقف الأسرى الذين يتخلفون بعد هذا الانتصار ، و كيفية البت فى أمرهم و مصيرهم .

ومن خلال القصة نتعرف على منطق العلاقات السائد فى القبائل العربية ، وخاصة إذا ارتبط ذلك بالإنتماء أو التربية أو الرعاية .

obeikandi.com

وحنين وادٍ بين مكة و الطائف و هو مكان الموقعة التى جرت بين المسلمين وأهل حنين ، و انتصر فيها المسلمون انتصاراً كبيراً ، بعد هزيمة ملحوظة فى بداية المعركة ، نتيجة لاعتقاد المسلمين أن كثرتهم ستحقق لهم النصر ، وما دروا أن النصر يأتى من عند اللّٰه، شريطة أن يعّد المسلمون العدّة بقدر استطاعتهم، ويأخذوا بالأسباب المكنة ، ويُخلصوا فى قتالهم و جهادهم . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعركة **بقوله تعالى :-**

"لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"**(سورة التوبة الآيات من ٢٥-٢٧)**

وبعد انتهاء المعركة و تحقيق النصر، لحق وفد من هوازن بعد إسلامهم برسول اللّٰه – صلى اللّٰه عليه وسلم – فى مكان اسمه الجعرانة ، ويقع على بعد سبعة أميال من مكة إلى الطائف ، ليطلبوا من رسول اللّٰه -صلى اللّٰه عليه وسلم- أن يمّن عليهم، و يطلق سراح أسراهم، و يعطف عليهم بما أفاء اللّٰه عليه فى المعركة من مال وغنائم.

وقد اتخذوا لطلبهم طريقة مؤثرة فى الاستعطاف و الاسترضاء ، فذكّروا الرسول – صلى اللّٰه عليه وسلم – بأنّ لهم أصلاً و عشيرة ، مما يعنى أن مكانتهم فى قومهم كبيرة ، وأن ما أصابهم من بلاء السبى و الاسترقاق لهو أمر عظيم عليهم و على أهليهم ، و قد كان السبى و الاسترقاق أو الأسر ؛ هو منطق الحروب فى هذا الزمان ، واستمّر حتى يومنا هذا ، وإن كان الأمر يختلف وفقا للمعاهدات الدولية التى تنظّم وضع الأسرى، وتجعلهم غير خاضعين للرقّ أو العبودية، كما كانت الحال فى الماضى.

وقد قدّم وفد هوازن خطيباً مفوّهاً يعرض المسألة بما يرقّق قلب النبى – صلى اللّٰه عليه وسلم – و يجعله يستجيب لرغبتهم ، حيث عرض الموضوع عرضاً مؤثراً ، وأعقبه بشعر يمدح فيه النبى – صلى اللّٰه عليه وسلم – ووجه التأثير فى خطبة زهير بن صُرد ، خطيب

هوازن ، أنه ذكّر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأنه تربّى فى هوازن ، حيث أرضعته حليمة السعدية ، من بنى سعد ، وهم من هوازن ، فصارت هوازن أهله : أمه من الرضاعْة وخالاته ، و عماته ، و أخواته ، ومنهم الشيماء أخته من الرضاعة وهى بنت الحارث بن عبد العزى من بنى سعد بن بكر ، وأمها حليمة السعدية ، يقول زهير : يا رسول الله إنما فى الحظائر **(أماكن السبى)** من السبايا خالاتك، وعماتك، وحواضنك **(مربياته أو مرضعاته)** اللاتى كنّ يكفلنك أى يرعينك.. فلو أنا مَلَحْنَا ، أى أرضعنا ابن أبى شمر، أو النعمان بن المنذر، ثم أصابنا منهما مثل الذى أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما وأنت خير المكفولين .

وكأن زهيراً ، يقارن بين ما كان سيفعله ابن أبى شمر و النعمان لو أنهما أسرا هوازن ، وبين ما ينتظره من خير المكفولين الذين أرضعتهم هوازن و كفلتهم وهو النبى – صلى الله عليه وسلم – الذى صار منتمياً إليهم و منتسبا... وهنا نتعرف على موقفه –صلى الله عليه وسلم – فيهم .

أسرى هوازن -٢

خيرّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفد هوازن بين الأحساب و الأموال فاختاروا الأبناء و النساء .

" فقال رسول اللهّ –صلى اللهّ عليه وسلم : أما ما كان لى و لبنى عبد المطلب فهو لكم وإذا أنا صليّتُ بالناس ، فقوموا و قولوا : إنا نستشفع برسول اللهّ – صلى اللهّ عليه وسلم – إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول اللهّ – صلى اللهّ عليه وسلم – فى أبنائنا و نسائنا ، سأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ".

فلما صلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالناس الظهر ، قاموا ، فقلوا ما أمرهم به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم:

" أما ما كان لى و لبنى عبد المطلب فهو لكم " .

فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله – صلى الله عليه وسلم .

فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله – صلى الله عليه وسلم .

فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا .

فقال العباس بن مرداس الأسلمى : أما أنا وبنو سليم فلا .

فقالت بنوسليم : بل ما كان لنا فهو لرسول الله – صلى الله عليه وسلم .

وقال عيينة بن بدر : أما أنا وبنو فزارة فلا .

فقال رسول اللهّ –صلى اللهّ عليه وسلم :

" من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أوّل فيءٍ تصيبه ،فردّوا إلى الناس نساءهم ، وأبناءهم ..... " .

....

رأينا كيف حاول زهير بن صرُد ؛ خطيب هوازن ، أن يستميل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إليه وإلى قومه ، لإطلاق سراح أسراهم وردّ أموالهم إليهم بعد انتصار المسلمين فى موقعة حنين ، وقد ذكّر الرسول – صلى الله عليه وسلم –

بنشأته فى بنى سعد الذين ينتمون إلى هوازن ، فصاروا أقارب له بالرضاعة ، فمنهم خالاته و عماته و أخوته و أخواته ، وكانت بينهم الشيماء أخته من الرضاعة ، ثم ضرب له مثلاً بابن أبى شمر و النعمان بن المنذر ، وكانا من ملوك هذا الزمان فلو أن واحدا منهما نشأ فى هوازن ، وأسر أهلها وغنم أموالها ، لتعطف عليهم وردّ الأسرى و المال .

وزاد على ذلك أنْ مدح الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – بقصيدة محكمة من الشعر ، حملت معانى طيبة و مؤثرة و ختمها بالرجاء و الشكر و العرفان .

لقد خيّرهم الرسول – صلى اللّه عليه وسلم بين الأحساب و الأموال ، فاختاروا الأولى وقالوا : أبناؤنا و نساؤنا أحبُّ إلينا ، وهنا قال لهم الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – " أما ما كان لى و لبنى عبد المطلب **(أى قومه)** فهو لكم". ثم طلب منهم أن يقولوا بعد أن يصلى بالناس :

" إنا نتشفع برسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول اللّه –صلى اللّه عليه وسلم – فى أبنائنا و نسائنا " .

لقد ردّ لهم الجميل على تربيته و تنشئته و إرضاعه صغيراً ، بأن ردّ عليهم ما يملكه هو وبنو عبد المطلب ممن يستطيع التصرف فى ممتلكاتهم أو أنصبتهم من الفىء و الغنائم ، أما ما ذهب إلى غيره و غير قومه من المسلمين . فلا يستطيع السيطرة عليه أو التصرف فيه ، لأنه صار ملك الآخرين ، وقد وجد الرسول الكريم – صلى اللّه عليه وسلم – حّلاً يرضى النفوس ويؤلف القلوب ، ويجعل غير قومه من المسلمين يوافقون عن طيب نفس على تسليم ما عندهم ، وردّه إلى هوازن تكرمة له .

كان الحل هو أن يطلب وفد هوازن شفاعة النبى – صلى اللّه عليه وسلم – لدى المسلمين و شفاعة المسلمين لديه – صلى اللّه عليه وسلم – كى يردّوا عليهم أبناءهم و نساءهم ، ووعدهم أنه عند الاستجابة سيعطيهم ما عنده ويتشفع لهم ...وهو ما كان ...

فقد صلى الظهر، وقام وفد هوازن ، وفعل ما أمر به الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم ، وهنا نجد نوذجاً للسماحة الإسلامية يقدمّه رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فما رضى لنفسه أن يقهر المسلمين على شيء لا يريدونه ، أو يسلبهم حقّاً لا يملكه ، بل إنه اتخذ سبيل الرأفة ، وتطييب الخواطر، وجعل هوازن تطلب الشفاعة منه وإليه ، مما يرقق القلوب ، ويلين الجوانب ، ويجعل المسلمين يتنازلون عن طيب نفس ، ورجاء الآخرة ، وصلة لرحم رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، فقد صارت قرابته فى الرضاع لبنى سعد من هوازن ، كأنها رحم حقيقية .

وتكون استجابة المسلمين للشفاعة نموذجاً للحرية بأوسع معانيها، والاستقلال بأروع صوره ، وقد بدأ – صلى الله عليه وسلم – بنفسه، فقال: "أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب ، فهو لكم " و تبعه المهاجرون و الأنصار قائلين : ما كان لنا فهو لرسول الله – صلى الله عليه وسلم ، و لم يقولوا لهوازن ، فى لفتة ملحوظة تكريماً لرسولهم وقائدهم و حبيبهم – صلى الله عليه وسلم .

أما بعض الصحابة ، فقد رفضوا التنازل عن أبناء هوازن و نسائها ، كما فعل الأقرع بن حابس ، زعيم تميم ، و عيينة بن بدر زعيم فزارة و العباس بن مرداس زعيم بنى سليم . ولكن قبيلة الأخير رفضت رأيه ، وعارضته ، وقالت : بل ما كان لنا فهو لرسول الله – صلى الله عليه وسلم .

وهنا نزل الرسول – صلى الله عليه وسلم – على رأى من تنازل ورأى من عارض ، فقال :

" **من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض ، أى ست من النوق، و الفريضة بمعنى** " **ناقة** " ، وطالبهم نظير هذه الفدية أن يردّوا إلى هوازن نساءهم و أبناءهم، وهو ما أدخل الفرحة إلى قلوب هوازن التى ربته ورعته صغيراً .

أسـرى هـوازن –٣

بعد أن طلب الرسول-صلى الله عليه وسلم- أن يحصل كل رافض لردّ الأسرى على ست من النياق ، ركب و تبعه الناس يقولون :

يـا رسـول الله، أقسم علينـا فَيْأَنـا، حتـى اضطروه إلى شجرة، فانتزعت عنـه ردا ءه ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم :

"يأيها الناس: ردّوا علىّ ردائى، فوالذى نفسى بيده، لو كان لكم عدد شجر تهامة نعَماً لقسمته عليكم ، ثم ما لقيتمونى : بخيلا ، ولا جباناً ، ولا كذاباً" ثم قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم – إلى جنب بعير، و أخذ من سنامه و برة فجعلها بين إصبيعيه، وقال:

"أيها الناس: و الله ما لى من فيئكم هذا، ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخياط و المخيط ، فإن الغلول عارٌ ، ونارٌ ، و شـنار ، على أهله يوم القيامة" .

فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعرٍ ، فقال : يا رسول الله أخذت هذه لأخيط بها بردعة بعير لى .

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " **أما حقى منها لك** "

فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر هذا ، فلا حاجة لى بها ، فرمى بها عن يده .

....

تؤكد القصة النبوية على حق الاختلاف ، و التمسك بالحق و المتلكات ، وهو ما يعطى صورة مبهجة لمفهوم العلاقة بين القائد و الأتباع ، و الحاكم و المحكوم ، فى إطار من الاحترام و التوقير ، وهى صورة أكبر و أوسع مما يعرف اليوم بالديمقراطية ، لأنها تهدف فى الأساس إلى تأليف القلوب ، وتوحيد المشاعر ، و تطييب النفوس .

لقد طلب الرسول – صلى الله عليه وسلم ممن أمسك بحقه ، أن يكون له بكل إنسان ست فرائض، أى ست من النياق، ليرّد على هوازن نساءها و أبناءها، وتعود هوازن سعيدة بالتئام أسرها و عائلاتها و عشائرها . وهى مكرمة لن تنساها هوازن

obeikandi.com

للنبى – صلى الله عليه وسلم – وصحابته الكرام ، الذين تنازلوا – فى معظمهم – عن طيب خاطر ، و أعادوا النساء و الأبناء إلى ذويهم بعد الأسر فى حرب ضارية . ولنا أن نعلم كم هى قاسية على العرب فى ذلك الزمان ، بل فى كل زمان ، أن يذهب النساء و الأبناء إلى الأسر ، حيث الرقّ و العبودية للأسرى فى ذلك الحين .

لقد تبع الناس الرسول-صلى الله عليه وسلم- بعدئذ ليقسم لهم الفىء، أو الغنائم وألحوا عليه ، حتى سقط عنه رداؤه بفعل شجرة ، اقترب منها ، أو اضطر للاقتراب منها ، وهنا علمهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – درساً مهّماً ، بعد أن طلب منهم أن يردّوا عليه رداءه فهو يقسم بالله الذى نفسه بيده، أنه لو كان لهم فىء كثير لقسمه لهم وشبه هذا الفىء أو النعم أو الإبل بعدد شجر تهامة ، إشارة إلى كثرته ، ثم يؤكد لهم إنه بعد تقسيمه عليهم ، فلن يكون بخيلا أو جبانا أو كذابا ...وياليها من صفات كريهة إذا التصقت بالمسلم أو اتصف بها .

إن البخل صفة قبيحة،وتكون أشد قبحاً إذا كان صاحبها يملك سعة من المال ووفرة.

والجبن خلة بشعة ، وتكون أكثر بشاعة ، فى المواقف التى تحتاج إلى حسم وتضحية .

و الكذب ممارسة لأكثر السلوكيات رذالة، ووحشية، لأنها توقع الكذاب والمكذوب عليهم فى شر مستطير؛ ولا يكون المؤمن كذاباً بحال من الأحوال .

وسوف نجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – يقسم مرة أخرى بلفظ الجلالة -وتلك آية فى البلاغة النبوية أمام هذا الموقف الذى يتجمع فيه المسلمون وينتظرون من الفىء – ليقول لهم :

"والله، ما لى من فيئكم هذا، ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط و المخيط " . و هو هنا – صلى الله عليه وسلم – يشير إلى آية الأنفال التى تقسم الغنائم فى قوله تعالى :-

" وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ"(سورة الأنفال الآية ٤١)

ولهذا يطلب الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يؤدوا الخياط و المخيط فى إشارة إلى عدم قبول أى زيادة عن النصيب المستحق ، وهو ما يؤكده بقوله : فإن" الغُلول عارٌ ونارٌ ، وشنارٌ " على أهله يوم القيامة " . ويالها من صورة مرعبة ، لمن يأخذ ما ليس له ، وكأن الرسول-صلى الله عليه وسلم- يرسم للمسلمين مآل أو مصير من يخون الأمانة و يتجاوز العدل ويستولى على حق غيره حيث يعيش العار والنار والفضيحة يوم القيامة .

ولعل هذه الصورة هى التى حركت رجلاً من الأنصار جاء بكبّة أو شعر ملفوف بعضه على بعض ليخيط بردعة بعير ، أو فراشا يوضع تحت راكب البعير ، ويسأل عنها ؛ وهل تدخل فى التحذير الذى أطلقه الرسول – صلى الله عليه وسلم – من خلال حديثه عن الغلول . فيجيبه – صلى الله عليه وسلم – بأنه يتنازل عن حقه فيها له. فإذا بالرجل يرمى بها، لأن الأمر يتعلق بالحقوق فى أصغر مكوناتها وأبسطها ، و يقول : أما إذا بلغ الأمر هذا فلا حاجة لى بها .

وفى مجمل القصة النبوية الشائقة ، فإن الحقوق قضاء ، وإن التنازل عنها لا يتأتى بالخداع أو الاختلاس أو النصب ، و لكنه يتأتى بالرضا و طيب النفس وسماحة القلب . ولنا فى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أسوة حسنة ، حين أكرم هوازن ، و أعطاهم وأحسن إليهم ، فرجعوا مسرورين بدينهم وبما أفاء الله عليهم .

obeikandl.com

استشهاد حمزة : سيد الشهداء

obeikandl.com

obeikandl.com

استشهاد حمزة : سيد الشهداء -١

عن جعفر بن عمرو الضمرى قال :

خرجت مع عبيد الله بن عدى، فلما قدمنا حمص، قال لى عبيد الله بن عدىّ: هل لك فى وحشىّ نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم ، وكان وحشّى يسكن حمص ، فسألنا عنه فقيل لنا : هو ذاك فى ظل قصره ، كأنه حميت .

فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير، فسلّمنا، فرد السلام، قال: وعبيد الله معتجر بعمامته ما يرى وحشّىُ إلا عينيه ، ورجليه .

فقال عبيد الله : يا وحشى أتعرفنى ؟ قال : فنظر إليه ، ثم قال : لا ، والله إلا أنى أعلم أن عدى بن الخِيار تزوج امرأة يقال لها : أم قتال بن أبى العيص ، فولدت له غلاماً بمكة ، فكنت أسترضع له ، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه ، فلكأنى نظرت إلى قدميك .

قال : فكشف عبيد الله عن وجهه ، ثم قال : ألا تخبرنا بقتل حمزة ؟

قال : نعم . إن حمزة قتل طعيمة بن عدى بن الخيار ببدر ، فقال لى مولاى جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة بعمّى فأنت حرّ.... **(حديث صحيح ، أخرجه البخارى و آخرون)**.

....

حمزة سيّد الشهداء ، هو عم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقد كان فارساً صنديدا ، أسلم ودافع عن الإسلام حتى لقى ربه شهيداً فى غزوة أحد ، بعد أن ضرب مثالاً نادراً فى البطولة و الإخلاص للإسلام و نبيه -صلى الله عليه وسلم- مما جعله مرصوداً من المشركين الذين أكل الحقد قلوبهم و أعمى أبصارهم .

وكان الذى قتله فى الميدان عبدُ يسمىّ وحشى ، اقترف جريمته و هو مشرك ، إرضاءً لسيدّه كى يتحرر من العبودية، ولكنه فيما بعد، أسلم وحسن إسلامه، وشارك فى غزوات المسلمين ضد المشركين و المرتدين ، وقتل مسيلمة الكذاب بأرض اليمامة ، ليكافىء بقتله قتل حمزة بن عبد المطلب ؛ رضى الله عنه .

وقصة قتل حمزة سيد الشهداء ، تقدم لنا صورة للمشاعر الإنسانية الطبيعية التى لا يمكن أن تتجاهل الواقع ، أو تدعى أنه غير موجود ، فالحديث الشريف كما سيأتى يطلعنا على موقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – من وحشّى ، حيث طلب منه حين رآه وعرفه أن يغيبّ وجهه عنه ..فهو فى كل الأحوال قاتل عمه، أحب الناس إليه، وسنده فى الملمات ، ودرعه فى الدعوة ، ورحمة الذى لا ينقطع .

"**غيب وجهك عنى**" ! مضمون الطلب الذى وجهه الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- إلى وحشى ، مع أنه حضر إليه و أسلم ، و إذا كان محمد -صلى الله عليه وسلم- لا يستطيع أن ينكر مشاعره تجاه وحشى ، أو تجاه من أكلت كبد حمزة بعد استشهاده ، وهى هند بنت عتبة ، أم معاوية بن أبى سفيان ، فإنه – صلى الله عليه وسلم – لم يظلمهما ، ولم ينتقم منهما بعد أن أسلما وحسن إسلامهما، بل كان يجيب على أسئلة هند واستفساراتها فى قضايا الشريعة ، دون أن يجعل لمشاعره سلطاناً عليه ، بل إنه فى يوم فتح مكة ، عفا عن أهلها جميعا ، وقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، بل إنه جعل من دخل دار أبى سفيان آمنا، مثل من يدخل البيت الحرام، وهو يعلم أن أبا سفيان وزوجه هند بنت عتبة ، كانا من أشد الناس على الإسلام والمسلمين فى جاهليتهما .

والقصة النبوية التى بين أيدينا ، تبدأ من النهاية ، كما يقولون فى لغة النقد الأدبى فبطلها الرئيسى وهو وحشى ، يبدو فى أواخر حياته ، فقد قارب الثمانين، أو تجاوز السبعين على الأقل كما نفهم من رواية أخرى للقصة رواها ابن اسحق ، وهو يعيش فى حمص شمال بلاد الشام ، و يحكى لنا قصة قتله لحمزة و مسيلمة بعد مرور وقت طويل ، يستعيد فيه الأحداث والشخصيات .

لقد كان يسكن فى قصر، ويبدو منظره أقرب إلى السمنة والضخامة "**كأنه حميت**" أىّ زق كبير، و الزق هو إناء ضخم يملأ بالسوائل التى يراد تخزينها، ولعله يشبه البرميل فيما نعرف اليوم .

ويبدو أن شيخوخته جعلت عبيد الله بن عدى يسأله عن نفسه ، فقد كانت هناك علاقة قديمة بينه وبين أسرته ، ومع أن عبيد الله ، كان مختفيا تحت عمامته، أو معتجراً بها فلا يرى منه وحشى إلا عينيه ورجليه ، فإن ذكاء وحشى الحاد كان حاضراً ، حين نظر إلى رجليه وقارن بينها وبين رجلى طفل صغير رآهما قبل خمسين عاماً، حين ولدته أمه ، وكان تسترضع له، أى تطلب إرضاعه لدى المرضعات، وكان وحشى يحمله مع أمه ...فيقول: فلكأنى نظرت إلى قدميك . فيكشف عبيد الله عن وجهه ...و يتحقق وحشى من صدق نظرته ، ويتعرف على عبيد الله ، ويطمئن إليه ...

وهنا يسأله عبيد الله عن قصة مقتل حمزة ، فيصارحه بالحقيقة المتمثلة فى صفقة عقدها معه جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمى **(يقصد عمه طعيمة بن عدى بن الخيار الذى قتل يوم بدر)** فأنت حر ...وكأن جبير بن مطعم عرف كيف يستدرج العبد ليقتل سيد الشهداء فيسدّد إليه حربة فى مكان حسّاس تقضى عليه على الفور!

استشهاد حمزة : سيد الشهداء -٢

حين عقد جبير بن مطعم صفقة مع وحشى لقتل سيد الشهداء حمزة، **وقال له:** إن قتلت حمزة بعمى فأنت حرّ، قال وحشى لعبيد الله بن عدى :

فلما أن خرج الناس عام عيْنيَن -وعيْنيَن جبل حيال أحد بينه وبينه واد- خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصطفوا للقتال خرج سِبَاعُ، فقال: هل من مبارز؟

قال : فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فقال: يا سباع ، يا ابن أم أنمار... أَتحادُّ الله ورسوله ؟ !

قال : ثم شدّ عليه ، فكأن كأمس الذاهب ، وكمنتُ لحمزة تحت صخرة فلما دنا منى رميته بحربتى ، فأضعها فى ثُنيته، حتى خرجت من بين وركيه ، فكان ذلك العهد به .

فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف ، فأرسلوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رسلاً ، **فقيل لى :**

- إنه لا يهيج الرسل .....

....

فى القصة النبوية نلاحظ أن تقاليد القوم وعاداتهم فى الجاهلية ، كانت تحبّذ الثأر و الانتقام ، وهو ما رأيناه فى الصفقة التى عقدها جبير بن مطعم مع وحشى من أجل أن يقتل حمزة بن عبد المطلب ، الذى قتل عمه طعيمة بن عدى بن الخيار يوم بدر ....ومع أن المعركة كانت بين طرفين معنويين المشركين و المسلمين ، ويفترض أن من قتل هنا أو هناك لا يمثل نفسه بقدر ما يمثل الطرف أو الفريق الذى ينتمى إليه ، فإن جبير بن مطعم ، وفقاً للتقاليد والعادات الجاهلية ، عدّ الأمر مسألة شخصية ، وثأراً خاصّاً ينبغى أن يسعى إليه و يحققه ، وهو ما دفعه إلى صفقته مع العبد " وحشى" ليقتل حمزة مقابل تحريره من العبودية .

وإذا قارنا جبير بن مطعم – طالب الثأر لعمه ، بموقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذى كره رؤية وحشى – كما سيأتى فى القصة – دون أن يسعى للثأر منه أو الانتقام ؛ ندرك عظمة الإسلام ، فى العفو و المصالحة ، انطلاقاً من منهجه الذى يجبّ ما قبله ، ويمحوه ، ويفتح صفحة جديدة ، لحياة جديدة ، مليئة بالأمل والعمل ، والإخلاص والرحمة .

ويحكى وحشى ما فعله لينفذ الصفقة الدامية التى عقدها مع جبير بن مطعم ، فيقدم لنا المكان و الشخصيات التى شاركت فى أحداث القصة وهيأت لإتمام الصفقة الدامية القادرة .

فقد خرج وحشى مع قريش وحلفائها الذين توجهوا إلى يثرب أو المدينة المنورة ، لينتقموا أو يردّوا اعتبارهم الذى ضاع فى يوم بدر بهزيمتهم الساحقة التى لم يتوقعوها . ويسمى وحشى غزوة أحد بعام عينين وهو اسم جبل قريب من أحد بينهما وادٍ. ويصف لنا مشهد القتال وفقاً للتقاليد السائدة فى الحروب يومئذ، حيث يخرج أولاً بعض فرسان الفريقين المتحاربين للمبارزة، وتكون هزيمة بعض المتبارزين دلالة ما ، على هزيمة الفريق المنتسب إليه أو على الأقل تكون ضربة معنوية له تؤثر فى سير المعركة . وهو ما حدث بالفعل ، وإن كانت النتائج النهائية للمعركة قد فاجأت المسلمين، وجاءت على غير المستوى الذى وصلت إليه المبارزة والقتال بعدها.

بدأت المبارزة ، بقول أحد المقاتلين أو الفرسان المشركين ، **ويدعى "سباع"** :

– هل من مبارز ؟

وهنا خرج إليه البطل الجسور حمزة بن عبد المطلب ، عم النبى – صلى الله عليه وسلم – و خاطبه : يا سباع ، يا ابن أم أنمار ، وكانت مشهورة فى مكة بختان الإناث ، أتحادُّ الله ورسوله ؟ أى تعاند الله ورسوله ، و المحاددة هنا بمعنى المحاربة و المعاداة .

المسألة عند حمزة ، مدافعة لأعداء الله ورسوله، أى مرتبطة بالإيمان والعقيدة، قبل أن تكون مرتبطة بالنصر و الغلب، وسيادة فريق على فريق.. واندفع حمزة بالإيمان و العقيدة ليشدّ على سباع ، ويقضى عليه ، فكان كأمس الذاهب ، أى صار عدماً ، وضاع مثلما تضيع الأيام ، فلا يعود منها يوم ، وتنقضى بمرور الزمان .

بعد مصرع سباع ، ينفذ وحشى خطته الماكرة الغادرة ، فيكمن لحمزة تحت صخرة ، على العكس من الفرسان ، الذين تدفعهم أخلاقهم إلى المواجهة المباشرة ، ويحرّكهم النبل إلى عدم النيل من الخصم وهو غافل أو بدون سلاح أو بغير قدرة على الدفاع عن النفس .

وحشى عبد، يهمّه أن ينفذ ما يخصّه من الصفقة لينال حريته،ولا تهمه الوسيلة مهما كانت خسيسة . منطق الغاية يبرر الوسيلة هو الذى طغى عليه ، وجعله يكمن خلسة تحت صخرة ليصوب حربته أسفل بطن حمزة فأضعها فى ثُـنَـيته ، حتى خرجت من بين وركيه ! وقضى حمزة شهيداً ، بل سيد الشهداء ، نتيجة الغدر الذى قام به وحشى!

لقد عاد "**وحشـــى**" إلى مكة بعد غزوة أحد ، وظل بها حتى جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ، بعد أن عفا عنهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم – ويبدو أن " **وحشـى**" أحسّ بفداحة جرمه الذى اقترفه فى حق حمزة ، وتصّور أنه مطلوب لا محالة من أحدٍ ما، فخرج إلى الطائف ليقيم بها، حتى كانت محاولته الذهاب مع الرسل للقائه – صلى الله عليه وسلم – وهناك كان أمر آخر.

استشهاد حمزة : سيد الشهداء – ٣

رجع وحشى إلى مكة بعد فعلته الغادرة بقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وظل بها حتى فشا فيها الإسلام ، ثم خرج إلى الطائف ، فأرسلوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رسلاً ، فقيل له إنه لا يهيج الرسل .

قال : فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فلما رآنى **قال :** " **آنت وحشى؟ !** "

قلت : نعم .

قال – صلى الله عليه وسلم : " أنت قتلت حمزة ؟! "

قلت : قد كان من الأمر ما بلغك !

قال – صلى الله عليه وسلم :"**فهل تستطيع أن تغيّب وجهك عنى ؟!**"

قال : فخرجتُ ، فلما قبض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فخرج مسيلمة الكذاب ، **قلت :** لأخرجّن إلى مسيلمة لعلى أقاتله فأكافىء به حمزة .

قال فخرجت مع الناس ، فكأن من أمره ما كان ، فإذا رجل قائم فى ثلمة كأنه جملٌ أوْرقُ ثائر الرأس ، فرميته بحربتى ، فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه .

قال : ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته . فقالت جارية على ظهر بيت : و أميرا المؤمنين ، قتله العبد الأسود .

....

لاشك أن غدر وحشى بن حرب الحبشى ، أو العبد الحبشى كما كان يسمىّ أو يطلق عليه – كان يُطارده فيما بينه وبين نفسه ، ولهذا لم يمكث فى مكة بعد الفتح مع أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عفا عن أهلها جميعاً ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا عدا قلة ؛ كان من بينها وحشى ، ولذا ذهب إلى الطائف لعله يكون بعيداً عن يد ثائرة على فعلته تطاله .

بيد أنـه أراد أن يكفر عن جريمته ، ويدخل الإسلام ، وخشى أن يذهب إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقيل له : إنه لا يردّ مسلماً ، ولا يهيج الرسل ، أى لا ينالهم منه إزعاج . فخرج مع القوم متوجهاً إلى المدينة المنورة ، وقدم على النبى – صلى الله عليه وسلم – ويروى أنه قيل له – صلوات الله عليه وسلامه – هذا وحشى ، فقال :

"دعوه ، فلإسلام رجل واحد ، أحبّ إلىّ من قتل ألف كافر " – وهذه الرواية التى نقلها ابن اسحق ، تبين لنا منهج النبى – صلى الله عليه وسلم – فى الدعوة وتقديم العفو و التسامح على الحساب و الانتقام .

ويحكى وحشى ما جرى له عندما رآه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث سأله :

" **آنت وحشى**" فيجيبه وحشى: نعم . فيسأله، وكأنه –صلى الله عليه وسلم– يريد أن يتأكد من فعلته و يتثبت: "أنت قتلت حمزة ؟ " فيجيبه وحشى : قد كان من الأمر ما بلغك ، وكأنه لا يريد أن يقول إننى قتلته فيثير أشجانه على عمه سيد الشهداء . فاكتفى بالقول قد كان من الأمر ما بلغك... وهنا تعبّر العاطفة النبوية عن نفسها فى إطارها الإنسانى الطبيعى ، دون أن يؤثر ذلك على موقف العقل من رجل دخل الإسلام، و الإسلام يجب أو يمحو ما قبله. فيقول له الرسول – صلى الله عليه وسلم: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عنى ؟

وفى روايـة أخـرى : غيب وجهك عنى . وفى الحالتين ، فإن الرسول –صلى الله عليه وسلم– لا يريد أن يتذكر فعلة وحشى الشنعاء كلما رآه.. وهو ما نفذه وحشى بالفعل .

ولا شك أن " **وحشـى**" قد اطمأن جانبه ، بعد الطلب من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بتغييب وجهه عنه ، فراح يحاول التكفير عن فعلته الشنعاء التى

رسخت فى أذهان المسلمين بقتل سيد الشهداء ، وإن كان الإسلام لا يحاسب أحداً على ما جرى قبله. ويبدو أن "وحشى" أراد أن يقوم بعمل يرتبط فى أذهان المسلمين بالبطولة و الشجاعة ، ويذهب ما فى أذهانهم من مقتل سيد الشهداء .

ولهذا ، فإنه بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وارتداد بعض الناس ، وظهور بعض المتنبئين أو أدعياء النبوة مثل مسيلمة الكذاب ، وسجاح التميمة فى أرض اليمامة ، على عهد أبى بكر – رضى الله عنه – كان فرصة ذهبية ، ليذهب وحشى مع المقاتلين ضد الردّة و النبوة الكاذبة ، وصمّم على قتل "**مسيلمة الكذاب** " ، لعل فعله هذا يكافىء أو يساوى قتل حمزة بن عبد المطلب . وتمّ له ما أراد ، حيث رأى رجلاً قائماً فى ثلمة أى فى خلل جدار كأنه جمل أوْرق أى مغبّراً من أثر الحرب ، وصار لونه يشبه لون الرماد ، ثائر الرأس منكوش الشعر ، فرماه بحربته – وكان ماهراً فى استخدام الحراب بحكم تربيته ، فاخترقت صدره ، حيث دخلت بين ثدييه ، وخرجت من بين كتفيه . وقام رجل من الأنصار بالإجهاز عليه بضربه على هامته بالسيف ، وقالت امرأة على ظهر بيت: قتله العبد الأسود .

كان قتل مسيلمة إيذاناً بفتح جديد و إقامة للدين مرة أخرى ، بعد أن حاول المرتدون هدمه ، و العودة إلى الجاهلية ، وتنصيب أنبياء كذبه .

لقد كان إسلام وحشى بن حرب الحبشي ، إضافة مهمّة لحركة الإسلام ، مع ما اقترفه فى جاهليته ، وهو الذى عبّر عن موقفه خير تعبير حين قال : "**قتلت خير الناس وشر الناس**" ويقصد بخيرهم حمزة سيد الشهداء الذى قتله فى جاهليته ، وشرهم هو مسيلمة الكذاب الذى قتله فى إسلامه ، ليكون ذلك عهداً جديداً للدعوة الإسلامية ...نسأل الله أن يوفقنا إلى الصواب ، ويجنبنا الزلل ، وهو المستعان .

رزق أخرجه اللّه

obeikandl.com

obeikandl.com

رزق أخرجه اللّه -١

عن جابر بن عبد اللّه – رضى اللّه عنه – قال :

بعثنا رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – وأمّر علينا أبا عبيدة ، نتلقى عيراً لقريش وزوّدنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره .

فكان أبو عبيدة – رضى اللّه عنه – يعطينا تمرةً تمرةً . قال : فقلت له : كيف كنتم تصنعون بها ؟! **قال :** نمصّها كما يمّصُ الصبىّ الثدى ، ثم نشرب عليها من الماء ، فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعصينا الخبط ، ثم نبله بالماء فنأكله .

قال : وانطلقنا على ساحل البحر ، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فإذا هى دابة تدعى العنبر .

قال : قال أبو عبيدة : ميتة ، ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – وفى سبيل اللّه ، وقد اضطررتم فكلوا .

قال : فأقمنا عليه شهراً ، ونحن ثلاثمائة حتى سَمِنـَّا.....

(حديث صحيح : أخرجه البخارى و آخرون)

....

تكشف هذه القصة نمطا من الحياة كان يعيشه الصحابة رضوان اللّه عليهم بالصبر و الرضا من أجل نصرة دينهم و عقيدتهم ، و اتباعا لمنهج رسولهم -صلى اللّه عليه وسلم- وطاعة لأوامره، وفى سبيل ذلك يتحملون الجوع، ويصبرون على العناء، حتى يقضى اللّه أمراً كان مفعولاً .

إنها – على كل حال – حياة الجهاد التى تفرض التقشف و الزهد فى عرض الدنيا من أجل تحقيق هدف أكبر ، وغاية أسمى ، وهى إعلاء كلمة اللّه ، ومقاومة خصوم الإسلام و أعدائه .

لقد خرج المسلمون فى بعثة ، أى غزوة صغيرة أو سرية ، بقيادة أبى عبيدة بن الجراح حيث أمّره الرسول -صلى اللّه عليه وسلم- وجعله قائداً، وذلك لترقب

وانتظار و ترصد قافلة لقريش ، أو عير لقريش ، وكما نرى فالأمر هنا أمر مواجهة عسكرية بمستوى زمانها و مكانها . فالقافلة أو العير التى تحمل المؤن و البضائع لقريش ، ينتظرها المسلمون وهم مسلحون ، للاستيلاء عليها ، ردّاً على ما تفعله قريش بهم من مطاردة و تنكيل و محاصرة وشن غارات عليهم، وهذا يقتضى الخروج من المدينة المنوّرة ، و الذهاب إلى خط سير القافلة أو العير ، ليمكن النيل منها ، والسيطرة عليها ، وحرمان قريش من مورد ضخم للطعام و المؤونة و الرزق ..

ولكن البعثة بقيادة أبى عبيدة كانت تعانى عناءً شديداً ، وخاصة فى مجال الطعام أو التموين كما يطلق عليه فى المصطلح العسكرى هذه الأيام . فقد زوّدهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- بجراب – وهو وعاء من الجلد – فيه تمر ، لم يجد غيره .

ومعنى ذلك أنهم سيجوعون لا محالة، و الجوع قد يفسد الخطة العسكرية، ويجعلها تخفق تماماً . ولكن أبا عبيدة بحّس القائد الواعى الذى يستشرف المستقبل، ويدرك أهمية الغاية الكبرى التى يعمل من أجلها ، قرّر أن يتحكم فى كمية التموين المتاحة ، وهى جراب التمر ، ليضمن – على الأقل – فترة زمنية معقولة ، لاستمرار مهمته ، وبقاء رجاله صامدين حتى يؤدوا مهمتهم ، و يحققوا غايتهم .

لقد راح يوزع عليهم ، أو على واحد منهم ، تمرةً تمرةً ، أو تمرة بعد تمرة . والتمرة تبدو طعاماً بسيطا للغاية ، لا يسمن ولا يغنى من جوع ، ولكنهم كانوا يمصون التمرة كما يمّص الصبى الثدى من أمه ، ثم يشربون الماء بعدها ، ويصبرون على ذلك حتى يأتى الليل وقد كفتهم و أرضتهم .

لقد أضافوا إلى ذلك أمراً آخر ، وهو ضرب الخبط بالعصى . و الخبط هو ورق السّلَم كانوا يضربونه بعصيهم ، ثم يبلونه بالماء ، لأنه كان جافاً و يابساً ، ويأكلونه وهذا وفّر لهم ، فرصة مقاومة الجوع ، و الاستمرار فى مهمتهم لانتظار قافلة قريش التى يترقبونها .

وهذا المنهج يكشف لنا عن صبر المؤمنين المجاهدين ، وهم يدافعون عن إيمانهم وعقيدتهم ، فلا يتململون ولا يضجون بالشكوى ولا يفرطون فى مهمتهم النبيلة. ما كان أسهل عليهم من العودة إلى المدينة ، والبقاء فيها ، والاستمتاع بما يجدونه من طعام وشراب وظل ظليل ولكن طريق الجهاد غير ذلك تماماً ، فالمجاهد يتعرض لمصاعب ومشقات لا يتوقعها ، ولكنه يرّوض نفسه على تقبلها و تحملها و الصبر على مضاعفاتها، وهو ما فعله المجاهدون بقيادة أبى عبيدة فى بعثتهم التى وجههم إليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

إن الجيوش الحديثة، تدرب جنودها على الصبر و تحمل المشاق، وخاصة فيما يعرف بالقوات الخاصة، مثل الصاعقة والمظلات والاستطلاع ونحوها، ليكون الفرد قادراً على التكيف مع المتاعب المحتملة ، وليستطيع تأدية مهمته بنجاح ، وحين يتعرض بعض المجاهدين للحصار أوالنزول فى أماكن صعبة مقفرة، فإنهم يعتمدون على الله أولا ثم يوظفون ما لديهم من تموين وطاقات بصورة جيدة ، حتى يخرجوا من مأزقهم أو يأتيهم المدد و النجدة .

وهو ما جرى للصحابة فى بعثتهم بقيادة أبى عبيدة ، حيث رأوا حوتاً كبيراً وفرّ لهم التموين لمدة شهر فأقاموا عليه .

رزق أخرجه اللّه -٢

وجدت بعثة المسلمين بقيادة أبى عبيدة بن الجراح حوتاً ضخماً ، فأقاموا عليه شهراً ، وهم ثلاثمائة حتى سَمِنوُا . **يقول جابر :**

ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه الفدر كفدر الثور.

فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً، فأقعدهم فى وقب عينيه، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فنصبه ، ثم نظر إلى أطول رجل فى الجيش ، وأطول جمل فحمله عليه ، فمرّ من تحته ، وتزودنا من لحمه وشائق .

فلما قدمنا المدينة أتينا رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فذكرنا ذلك له ، فقال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم :

" هو رزق أخرجه اللّه لكم ، فهل معكم من لحمه شىء فتطعمونا ؟ "

قال : فأرسلنا إلى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – منه ، فأكله .

....

اكتفى المسلمون فى بعثتهم بقيادة أبى عبيدة بن الجراح بجراب التمر ، يوُزع عليهم تمرة بعد تمرة ، يمصونها ثم يشربون بعدها الماء . وكانوا يضربون بعصيهم الخبط ، وهو ورق السَّلم ، ويبلونه بالماء فيأكلونه ...

وكانوا بسلوكهم هذا يمثلون نموذجاً للجهاد الخالص، والصبر على الجوع والعناء حتى يقضى اللّه أمراً كان مفعولاً .

وبالفعل ، فقد كانت رحمة اللّه وتكريمه لهم بآية من عنده ، تجلّت فى وقت الشدّة الذى كانوا يعيشونه جوعاً ومعاناة .

يقول جابر بن عبد اللّه ، لقد انطلقنا على ساحل البحر- يقصد البحر الأحمر طريق القوافل – فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، أى رأوا كياناً ضخماً يشبه الكثيب وهو مرتفع متعرج من الرمال تصنعه الريح فى الصحراء ، فأتيناه فإذا هى دابة تدعى العنبر.

وتأمل وصفه للحوت الضخم أو السمكة الضخمة العظيمة بالدابة التى تدعى العنبر ويتخذ من جلدها الترسة . ويبلغ طولها أحيانا ما يزيد على الثلاثين متراً بمقاييس أيامنا هذه، أو الخمسين ذراعاً.بمقاييس ذلك الزمان الذى عاشه الصحابة.

إن العنبر أو الحوت اسم جنس لما عظم من السمك. والتشبيه يشير إلى ضخامته وأهمية هذه الضخامة فى توفير الطعام لثلاثمائة من المجاهدين ، عاشوا عليه شهراً ، بعد أن جففوه ، وجعلوه صالحاً للبقاء فترة طويلة دون أن يفسد .

ويلاحظ أن أبا عبيدة حين رأى الحوت ؛ قال : ميتة . ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفى سبيل الله ، وقد اضطررتم فكلوا .

وكأنه استشعر حرجاً فى تناول الحوت ، واجتهد بالاضطرار ، ولكننا سنجد أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – يقول ما معناه : أحلّ لكم ميتتان ودمان . فأما الميتتان فالسمك والجراد والدمان الكبد والطحال . ولذا فالحوت حلال طالما لم يتعفن أو يفسد .

ويحكى جابر عن ضخامة الحوت ، وما فعله المسلمون فى سبيل الاستفادة منه وإستخدامه تموينا لجيشهم الكبير، فقد كان الصحابة يغترفون الدهن من عينيه أو وقب عينيه تحديداً ، والوقب هو داخل العين ، ويقتطعون منه الِفدْر ، جمع فدرة ، وهى قطع اللحم وغيرها التى يأخذونها من الحوت، كأنه ثور أو حيوان ذبيح يقطعونه ويقسمون أوصاله فيما بينهم .

ويبين لنا جابر أن الصحابة رضوان الله عليهم جعلوا يتزودون من الحوت ومن لحمه وشائق ، أى قطعا من اللحم المغلى دون أن ينضج ، ويحملونه فى سفرهم يتزودون به طعاما حينما يحتاجون .

ولحم الوشائق يشبه القديد الذى كان العرب يحتفظون به عقب موسم الحج خاصة وذلك بتعريض اللحوم والأضاحى خاصة للشمس حتى تجف ، وتظل عندهم

فترة طويلة يتزودون منها ويأكلون ...بيد أن الوشائق لا تعرض للشمس وإن كانت تتعرض للغلى .

ونجد فى هذه القصة تعاطفاً ومشاركة من الرسول -صلى الله عليه وسلم- بوصفه القائد الأعلى للجيش الذى يتكون من الصحابة رضوان لله عليهم . فحينما قدموا المدينة ورجعوا من بعثتهم، وذكروا له قصة الحوت وما فعلوه به، فإنه -صلى الله عليه وسلم- يقول لهم :

" هو رزق أخرجه الله لكم . فهل معكم من لحمه شىء فتطعمونا ؟ "

وكأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يواسيهم أولا على ما كابدوه من مشقة الجوع والحرمان فى بداية البعثة ، وصبرهم على الشدائد ، ويهنئهم ثانيا على رحمة الله وكرمه و عطفهم عليهم بهذه الآية التى ظهرت وسط المعمعة ، وهى وجود الحوت لحما طرّياً سائغا، ويقرّهم ثالثا على تناوله والاستفادة منه، فهو ليست ميتة محرّمة كما تصّور أبو عبيدة ، واجتهد فى أكلها مضطراً .

إن قصة البعثة وعناءها الذى كابدته ، و الآية الإلهية التى تجلت فى الشدّة ، لتؤكد على أن الولاء لله خير و أبقى فى كل زمان ومكان ، و أولياء الله لن يضيعوا أبداً مهما تكاثرت عليهم المصاعب و المتاعب و المحن .

القصاص حياة

obeikandl.com

obeikandl.com

القصاص حياة !

عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال : عدا يهودى فى عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على جارية، فأخذ أَوْضَاحاً كانت عليها ، ورضخ رأسها، فأتى بها أهلها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهى فى آخر رمق، وقد أصمتت. فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " **من قتلك ؟ فلان ؟** " لغير الذى قتلها .

فأشارت برأسها : أن لا .

قال : فقال لرجل آخر – غير الذى قتلها ، فأشارت : أن لا .

فقال : " **ففلان ؟** " لقاتلها ، فأشارت أن نعم .

فأمر به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرضخ رأسه بين حجرين .

وفى رواية أخرى :

فلم يزل به حتى أقرّ، فرُض رأسه بالحجارة .

(حديث صحيح ، أخرجه البخارى و آخرون)

....

تقدم لنا هذه القصة النبوية ، منهجاً فى العدل و الاستقرار ، يجب أن يسوء المجتمع الإسلامى ، بل كل المجتمعات ، حتى يأمن الإنسان على نفسه، ويعمّ السلام الاجتماعى ويعيش الناس بعيداً عن المخاوف و القلق و الاضطراب .

وفى القصة نموذج للعدوان و الردّ عليه بمثله ، فقد اعتدى رجل على امرأة بقصد السرقة ، ولم يكتف بالسرقة بل قام بقتلها ، فالجريمة هنا عدوان على المجتمع بأسره وليس على جارية أو امرأة ، وهو ما جعل القصاص منه أمراً طبيّعياً ، حتى تصفو نفوس أهل القتيلة ، ويطمئن الناس إلى أن هذه الجريمة لن تتكرر مستقبلاً ، على أساس أن القصاص بقتل القاتل يجعله عبرة لغيره ممن يفكر فى العدوان أو القتل وتكرار الفعل المؤثّم كما يقول أهل القانون فى زماننا .

وتبدأ القصة مباشرة برواية الحدث الذى وقع ، وهو اعتداء يهودى فى عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على جارية، والجارية هنا تعنى المرأة عموماً ، والفتاة الشابة خصوصاً ، ولا تعنى المرأة المسترقّة أو المستعبدة أو التى ضمن العبيد ، كما كان يسمح النظام الاجتماعى فى ذلك الزمان .

وعدوان اليهودى على الجارية ، كان بقصد الأوضاح ، أو الحلى الفضيّة التى كانت تتزين بها ، وسميت هذه الحلى أوضاحاً ، لأن لونها أبيض . فالعدوان إذاً كان بقصد السرقة والاستيلاء على الفضة التى تتزين بها الجارية ، ثم إن المعتدى شعر فيما يبدو بأنه معرض للخطر إذا عرف أقارب المرأة الواحدة أو أحد من الناس بعدوانه وجريمته فأراد التخلص منها، حتى لا يعلم أحد بما فعل، فراح يرضخ رأسها ، أى يكسرها ، حتى أشرفت على الموت ، وحين أتى بها أهلها ،إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهى فى آخر رمق، أى فى النزع الأخير ، أو بقية الحياة والروح ، فإنها أصمتت ، أى لم تكن تستطيع الكلام ، وإن كان ذهنها واعيا يدرك ما حولها ، ويستطيع التعبير بالإشارة .

ولأن الحكم عادة ، لا يأتى إلاّ بعد تحقيق وتثبت واستبانة، فقد سألها الرسول – صلى الله عليه وسلم – ليعرف قاتلها . من خلال شهادتها هى أولا : من قتلك ؟

وذكر لها اسما من الأسماء من غير المتهمين . فأشارت برأسها لأنها لا تستطيع الكلام: أن لا. فذكر لها آخر من غير المتهمين أيضا، فأشارت برأسها: أن لا.

ثم ذكر لها اسم القاتل الحقيقى ، وهو اليهودى المعتدى : فأشارت أن نعم .

وهنا تتأكد حقيقة الجانى الذى ارتكب جريمة القتل بشهادة المجنى عليه أو عليها كما يقول أهل القانون .

وتشير الرواية الأخرى أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ظل يحقق مع اليهودى المعتدى حتى أقرّ بجريمته واعترف بها اعترافاً كاملاً ...

وهنا صدر الحكم بالقصاص منه، وقتله بالطريقة التى قتل بها الجارية، وهى كسر رأسه حتى مات .

ولا شك أن القصاص ، أو إقامة الحد على المعتدين و المجرمين ، أو تطبيق القانون كما نقول فى زماننا ، يشيع الأمن و الطمأنينة فى المجتمع ، إذ لولا ذلك لتشجع المجرمون و المعتدون ، و اقترفوا أعمال القتل و السلب و النهب ، وسادت شريعة الغاب فى المجتمع لا يوجد مجتمع إنسانى على ظهر الأرض إلا وفيه نظام قانونى يعمل على حمايته وصيانة حقوقه وحقوق أفراده ، وتأمين الممتلكات والأعراض ، فضلاً عن حفظ النفوس .وصدق اللّه العظيم إذ يقول :-

"فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (سورة البقرة الآية ١٧٩)

و المعنى واضح فى الآية الكريمة ، فقتل المجرم المعتدى القاتل ، يفتح مجال الحياة أمام بقية أفراد المجتمع، وإلا لو تركناه دون عقاب، فسوف يعيث فى الأرض فساداً ويقتل من يشاء ، ويسرق ويغتصب ويؤذى الناس ، وخاصة الذين لا يملكون القدرة على مواجهته و التصدى له ، ومن ثم فإن قيادة المجتمع أو سلطته الإدارية المخوّلة بحكمة و تسيير أموره، يجب أن تنفذ القصاص ، وتطبق القانون على القاتل و السارق و المختلس و المرتشى و المنحرف ، حتى يحيا المجتمع ويعيش الحياة .

obeikandl.com

غيرة و حـكـمة

obeikandl.com

obeikandl.com

غيرة و حكمة -١

عن عائشة – رضى اللّه عنها – قالت : أرسل أزواج النبى – صلى اللّه عليه وسلم – فاطمة بنت رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – إلى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فاستأذنت عليه ، وهو مضطجع معى فى مِرْطِى ، فأذن لها ؛ فقالت :

يا رسول اللّه ، إن أزواجك أرسلننى إليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة ، وأنا ساكتة .

قالت : فقال لها رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم :

" **أىْ بنيةُ ...ألست تحبين ما أحب ؟** "

فقالت : بلى .

قال : " فأحبى هذه " .

قالت : فقامت فاطمة حين سمعتْ ذلك من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فرجعت إلى أزواج النبى – صلى اللّه عليه وسلم – فأخبرتهن بالذى قالت ، وبالذى قال لها رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم .

فقلن لها : ما نراك أغنيت عنّا من شىء ، فارجعى إلى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فقولى له : إن أزواجك ينشدنك العدل فى ابنة أبى قحافة .

فقالت فاطمة : واللّه لا أكلمه فيها أبداً .....

(حديث صحيح ، أخرجه البخارى و آخرون).

....

فى هذه القصة ملمح من ملامح الحياة فى البيت النبوى الشريف ، يقدم لنا صورة إنسانية طبيعية للصراع القائم على الغيرة بين النساء ، وهو صراع يسعى أطرافه وهن النساء الزوجات ، إلى الفوز بحظوة الزوج وحبه ، والاستئثار به .

والبيت النبوى الشريف ، ليس بدعاً فى البيوت الإسلامية بقدر ما يتحمل أفراده من المسئولية و الخصوصيّة ، بحيث يبدو ما يجرى فيه ، مثل الذى يجرى فى

obeikandl.com

بيوت بقية المسلمين وخاصة تلك التى يكون فيها للزوج أكثر من زوجة تعيش مع الزوجة الأخرى أو الزوجات الأخريات ، فتتبع الواحدة منهن نظيرتها ، من خلال علاقة الزوج بها ، وتقيس ما يفعله معها بما يجرى لها ، وتريد كل واحدة أن تكون مفضلة لدى الزوج ، أثيرة لديه ، وتشعر أنها الأولى ، وأنها الأعلى قدماً قبل ضرتها أو قبل الضرائر الأخريات .

وهذه طبيعة غريزية ، أو تحكمها غريزة المرأة فى علاقتها مع الرجل ، فهى تغار عليه مثلما يغار عليها ، ولكن هناك فارقا بين الغيرتين . غيرة الرجل تقوم على حماية العرض والشرف والحرمات، ورفض العدوان بالقول أوالفعل أوحتى التلميح من جانب الآخرين ، وقد تقتضى غيرة الرجل ، أن يهبّ للدفاع عن امرأته أو نسائه بصفة عامة بوسائل قد تصل إلى الإشتباك مع المعتدين بصورة من صور الاشتباك المشروعة ، أو غير المشروعة إذا غلبته غيرته ، أو أعماه غضبه .

أما غيرة النساء ، فلها مسلك آخر ، لأنها تتغيّا الاحتفاظ بالرجل و الاستئثار به ومقاومة ما تقوم به الأخريات لاستمالته أو الظفر به دونهن .

ونعلم أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد تزوج أكثر من واحدة ، وجمع بينهن فى أسرته ...ومع أن التعدّد كان شائعاً فى زمنه ، بل كان الأساس ، وعدم التعدد هو الاستثناء ؛ فإنه – صلى الله عليه وسلم – شهد فى بيته صراع الغيرة بين نسائه ، مثلما تشهد بيوت المسلمين من صراع مماثل .

والمشكلة هنا ، أن النبى – صلى الله عليه وسلم – كان يميل بعاطفته وقلبه إلى السيدة عائشة رضى الله عنها ، دون أن يخلّ ذلك بعدله بين بقية نسائه ، وهذا الميل كان يثير ثائرة بقية زوجاته – صلى الله عليه وسلم – وهو ما دفعهن إلى الشكوى ، و إرسال فاطمة الزهراء – رضى الله عنها – إليه ، بوصفها أحب بناته إليه ، لتبلغه رسالتهن وهى مساواتهن بعائشة رضى الله عنها .

وقد أمر الإسلام بالعدل بين الزوجات ، وإن تعذرّ العدل فالاكتفاء بواحدة ، أو ما ملكت الأيمان ، فى عهد وجود الرقيق . إذاً العدل أساس فى الأسرة المتعددّة الزوجات : **بقوله تعالى : -**

" وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ" **(سورة النساء الآية ٤)**

ويقول تعالى :-

" وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا"

(سورة النساء الآية ١٢٩)

وضع الإسلام العدل معياراً ، وقد طبقه الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين زوجاته ، فهو يساوى بينهن فى الأفعال و الأقوال ، والإنفاق و المبيت ، وكل ما يمكن تقسيمه بينهن ...أما ما يتعلق بالعاطفة، والميل و القلب، فهو شىء لايمكن السيطرة عليه ، ولا يمتلكه النبى -صلى الله عليه وسلم- ولا غيره من الناس ، وسبحان مقلّب القلوب ، فهى لا تخضع لمقياس ولا معيار ، لحكمة يعلمها سبحانه ....ومن ثمّ ، فقد كان ميله أو حبه لعائشة رضى الله عنهما ، أكثر من غيرها من الزوجات ، هو ما أثارهن عليه وأرسلن إليه فاطمة الزهراء برسالتهن التى نقلتها ونقلت الإجابة عنها التى لم تعجبهن .

غيرة و حكمة -٢

رفضت فاطمة الزهراء أن تعود مرة أخرى برسالة زوجات النبى – صلى الله عليه وسلم – إليه مرة أخرى ، وقالت : والله لا أكلمه فيها أبداً .

قالت عائشة : فأرسل أزواج النبى – صلى الله عليه وسلم – زينب بنت جحش زوج النبى –صلى الله عليه وسلم، وهى التى كانت تساميني منهن فى المنزلة عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم أر إمرأة قط خيراً فى الدين من زينب ، و أتقى لله وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالاً لنفسها فى العمل الذى تصّدقُ به ، وتقرب به إلى الله تعالى ، ماعدا سورةً من حدّةٍ كانت فيها ، تسرح منها الفيئة .

قالت : فاستأذنت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع عائشة فى مِرْطِها على الحالة التى دخلت فاطمة عليها وهو بها ، فأذن لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت :

- يا رسول الله ، إن أزواجُك أرسلننى إليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة .

قالت : ثُمَّ وقعت بى ، فاستطالت على ، وأنا أرقب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هل يأذن لى فيها ؟

قالت : فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يكره أن أنتصر .

قالت:فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وتبسّم:"**إنها ابنة أبى بكر**".

....

حين ذهبت فاطمة الزهراء إلى أبيها المصطفى – صلى الله عليه وسلم – تنقل إليه رسالة أزواجه يسألنه العدل فى ابنة أبى قحافة ، أى عائشة ابنة أبى بكر رضى الله عنهما ؛ فقد أجابها إجابة منطقية هادئة ، من خلال سعة صدره وحبّه لابنته ، ورغبته فى إقناعها ، كى تنقل إلى أزواجه الإجابة المطلوبة .

لقد سأل فاطمة : أى بنية ، ألست تحبين ما أحبّ؟ !

فأجابته : بلى ، أى نعم .

قال:فأحبى هذه، فى إشارة إلى عائشة، التى يحبها رسول الله-صلى الله عليه وسلم

أخبرت فاطمة الزوجات بهذه الإجابة ، ولكنهن لم يقتنعن ، وطلبن منها أن تعود ثانية إلى أبيها وتنقل إليه الرسالة ، ولكنها رفضت ، لأنها وجدت الإجابة التى حملتها من قبل مقنعة للغاية ولا مزيد عليها .

بيد أن الزوجات أرسلن زينب بنت جحش رضى الله عنها ، فقد كانت مكانتها أو منزلتها تقترب من منزلة عائشة – رضى الله عنها – لدى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو تساميها كما عبرت عائشة . فاستأذنت ودخلت عليهما ، وعائشة فى مِرْطِها أى فى كسائها أو غطائها من الحرير أو الصوف ، وعرضت رسالة الزوجات ، وحاولت أن تنال من عائشة والاستطالة عليها . وعائشة تنظر وتراقب النبى – صلى الله عليه وسلم – هل يسمح لها بالرّد على زينب ؟

ولم تمهلها عائشة ، فردت عليها وغلبتها ، و الرسول – صلى الله عليه وسلم – يبتسّم ويقول : إنها ابنة أبى بكر ؟ وكأنه يقول لزينب : من أجل أبى بكر فإنه يسمح لعائشة أن ترّد على ما قيل عنها ، ويحق لها أن تكون فى مجال الأولوية القلبية على بقية الأزواج .

بيد أننا نلاحظ أن عائشة فى غمرة انفعالها بسبب غيرة الأزواج منها ، تقدم شهادة فى غاية الصدق و الموضوعية عن ضرّتها زينب بنت جحش – رضى الله عنها – فهى تصفها بأنها خير امرأة رأتها دينا ، وتقوى لله ، وصدقاً فى الحديث ، وصلة للرحم ، بل إنها أعظم صدقة ، واشد ابتذالاً لنفسها فى العمل الذى تصدق به ، وتقرب به إلى الله تعالى ..

ومع هذه الميزات الطيبة العظيمة، فإن عائشة تشير إلى بعض العيوب أو السلبيات التى تراها فى زينب بنت جحش، حيث تراها سريعة الغضب، ولكنها ترجع إلى الحق بسرعة أيضا ولا تصرّ على غضبها .وهو ما عبرت عنه عائشة بقولها: "**ما عدا سورةً من حّدةٍ كانت فيها ، تسرع منها الفيئة**"، وتقصد بالسورة الثوران وسرعة الغضب والحدّة: هى الشدة. والفيئة هى الرجوع عن الغضب.

إن القصة النبوية تتناول الطبيعة الإنسانية عند النساء ، من خلال الغيرة ، وهى أمر مفهوم ، أدركه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتعامل معه بوصفه أمراً طبيعياً واقعاً ، وعالجه بالصبر و المنطق و الابتسام أيضاً ، فهو لم يقصر تجاه واحد منها فيما يمكن قسمته بل ساوى بينهن، وعدل،وهو ما لا ينكرنه ولا يستطعن، ولكنهن كن يبحثن عن مجال آخر للعدل لا يمكن للرسول – صلى الله عليه وسلم – ولا غيره من البشر أن يتدخل فيه وهو القلب "**أو**" "**العاطفة**" ..ومع ذلك فإنه يحدث زينب بنت جحش حديث المنطق الذى يشيد بقدرتها على الفهم وحسن التقدير ، حين يقول لها : إنها ابنة أبى بكر ، وهو ما فهمته زينب ، واقتنعت به ، ورجعت إلى الأزواج تقنعهن ، وتسترضيهن ، وتهدىء من ثائرتهن .

ولنا بعد هذا . أن تقدر أن غيرة الأزواج كانت نابعة من شدة حبهّن للزوج ، وهو النبى – صلى الله عليه وسلم – وهى غيرة موجودة لدى كل النساء بوصفها مسألة طبيعية حتى فى بيت النبوة ، ولكنها تقف فى إطارها ، وتتراجع بفضل الحكمة و المنطق و الصبر الجميل .

الهجرة إلى المدينة

obeikandl.com

الهجرة إلى المدينة -١

عن عائشة -رضى اللّه عنها- أن الرسول - صلى اللّه عليه وسلم- قال للمسلمين:

"إنى أُريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، وهى الحرتان،فهاجر مَنْ هاجر قبل المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم :

" على رسلك ، فإنى أرجو أن يؤذن لى "

فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ **قال** : "**نعم** " .

فحبس أبو بكر نفسه على رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- ليصحبه، وعلف راحلتين ، كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر.

فبينما نحن يوماً جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة ، قال قائل لأبى بكر: هذا رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- متقنّعاً فى ساعة لم يكن يأتينا فيها؟!

فقال أبو بكر : فداءٌ له أبى و أمى ، واللّه ما جاء فى هذه الساعة إلا أمر.

قالت عائشة : فجاء رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فاستأذن ، فأُذن له فدخل .فقال النبى – صلى اللّه عليه وسلم – لأبى بكر: أَخْرِج مَن عندك " فقال أبو بكر : إنما هم أهلك . بأبى أنت يا رسول اللّه !!

قال :" **فإنى أُذِن لى فى الخروج** " **فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول اللّه ، بأبى أنت يا رسول اللّه ؟**"

قال: "نعم "

قالت عائشة:فواللّه ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ .

وقال أبو بكر:فخذ بأبى أنت يا رسول اللّه إحدى راحلتى هاتين، فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم: "**بالثمن**"..... **(حديث صحيح أخرجه البخارى و آخرون).**

....

هذه قصة واقعية تكتمل فيها عناصر القصّ والتشويق، حيث تبدو أغرب من الخيال، لما جرى فيها من معجزات وخوارق، عبرّت عن صدق الرسالة والرسول،

obeikandi.com

وصورت طاقة الإيمان حين تتحول من التصّور النظرى إلى التطبيق العملى، فتكشف عن صلابة الإيمان وقوة العقيدة، ونصرة اللّه التى لا تتخلف لعبادة المؤمنين الصادقين، وهزيمته لأعدائه الكافرين المعتدين .

وهذا الجزء من القصة يمثل البداية للمرحلة العملية للهجرة النبوية المباركة، والانتقال من الموطن الأول للدعوة وهو مكة إلى الموطن الثانى وهو المدينة المنورة أو يثرب كما كانت تعرف قبل الهجرة ..

لقد سبقت الهجرة أحداثٌ مهدّت لها ، وجعلتها أمراً لا مفر منه ، فقد ضاقت مكة بالمسلمين ضيق وجود و حركة ، وعُذبّ المسلمون وضيق عليهم لدرجة أن أبا بكر وجد ابن الدغنة يتخلى عن جواره و حمايته بسبب ضغوط قريش ، ولكن أبا بكر المؤمن بربه ردّ عليه جواره ورضى بجوار اللّه عزوجّل .

ثم إن النبى -صلى اللّه عليه وسلم- وجد من أهل المدينة استعداداً لنصرته وحمايته حين يقرر الهجرة إليهم ...ومن ثم كانت بشارته للمسلمين بأنه رأى دار هجرتهم ووصفها بأنها ذات نخل بين لابتيْن ، وهما حرّتان جمع حرة أى أرض حجارتها سود .. وكان ذلك إيذاناً بالهجرة لعامة المسلمين كى يتجهوا نحو المدينة .

أما أبو بكر – رضى اللّه عنه فقد تجهز ليهاجر، ولكن الرسول -صلى اللّه عليه وسلم- استبقاه ليهاجر معه . قائلاً له : على رِسْلك ، أى على مهلك ، أو انتظر فإنى أرجو أن يؤذن لى ، أى يؤذن له بالهجرة ، وهو ما أفرح أبا بكر ، وجعله يحبس نفسه، أى يمنع نفسه من الهجرة حتى يكون بصحبة النبى – صلى اللّه عليه وسلم ، وأعد راحلتين وعلفهما بورق السمر ، أى الورق الذى يسقط من الشجر لمدة أربعة أشهر ، حتى جاء موعد الهجرة .

فى وقت الظهيرة اللافح شديد الحّر ، ذهب الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – متقنّعا ، أى يلبس غطاء على رأسه ، ويفهم أبو بكر أن مجىء الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – فى هذا الوقت إنما هو لأمر خطير غير عادى . فقد كان من عادته ألاّ

يزور أبا بكر فى مثل هذا الوقت ، ولكن أبا بكر الصاحب الصدوق يعلن أنه يفتديه بأبيه و أمه ..

ويعلمنا النبى – صلى الله عليه وسلم – درساً فى السلوك و التهذيب ، وهو الاستئذان ، ومع ماله من علاقة حميمة مع أبى بكر ، فإنه يستأذن ، ويؤذن له ، ولأن الأمر خطير يطلب منه أن يخرج من عنده ، فيدعو له أبو بكر ، بعد أن يخبره أنهم أهله .. وحينئذ يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم :

" **فإنى أذن لى فى الخروج** " فيطلب أبو بكر الصحبة ..

وتخبرنا عائشة – رضى الله عنها – أنها ما رأت أحداً يبكى من الفرح مثل أبى بكر ، وهو بكاء يدل على الإخلاص ، و الصدق فى الصحبة الذى ستدّل عليه أحداث أخرى فى قصة الهجرة من بينها التنازل عن إحدى الراحلتين للرسول – صلى الله عليه وسلم – ولكنه لا يقبل التنازل و يأخذها بالثمن . حتى لا يثقل على صاحبه الصديق ، وتبدأ رحلة تغيّر وجه الحياة فى الجزيرة العربية و العالم ! !

opelkandl.com

الهجرة إلى المدينة -٢-

تقول عائشة – رضى اللّه عنها – بعد أن قصّت مقدمات الهجرة ، ووصول الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – إلى بيت أبى بكر معلنا الإذن بالهجرة :

" فجهزناهم أحثّ الجهاز ، وصنعنا لهم سفرة فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها ، فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميّت ذات النطاقين . قالت : ثم لحق رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – و أبو بكر بغار جبل ثور ، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد اللّه بن أبى بكر ، وهو غلام شابُ ثَقَفٌ لِقنٌ فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائتٍ ، فلا يسمع أمراً يُكتادان به إلا وعاه ؛ حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة من غنم ، فيريحها عليهما حيث يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان فى رسل ؛ وهو لبن منحتهما ، ورضيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاثة .

واستأجر رسول اللّه –صلى اللّه عليه وسلم – وأبو بكر رجلاً من بنى الدَيّل هادياً خِرِّيتاً والخِرّيت الماهر بالهداية – قد غمس حلفاً فى آل العاص بن وائل السهمى ، وهو على دين كفار قريش فأمناه ، فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ براحلتيهما صُبح ثلاثٍ ، فانطلق معهما عامر بن فهيرة و الدليل ، فأخذ بهم طريق السواحل " .

....

لم تكن الهجرة النبوية الشريفة عملاً ارتجاليا أو اعتباطيا ، ولكنه عمل قام على التخطيط و السرية و الاعتماد على اللّه .

التخطيط بدأ قبل الهجرة بزمان طويل ، من خلال التعاهد مع أهل المدينة الأنصار واتصل مع تنفيذها. والسرّية، تتمثل فى حرص الرسول-صلى الله عليه وسلم- على إخبار أبى بكر وحده دون غيره ، بأمر الهجرة و موعدها .

و الاعتماد على الله تمثّل فى اختراق الحصار الذى فرُض على بيت النبى – صلى الله عليه وسلم – لقتله و الانتهاء من أمره ، ثم استمر الاعتماد على الله طوال الرحلة ومع مخاطرها .

وعائشة - رضى الله عنها - تحكى كيف بدأ تجهيز المهاجرين ، وإعداد الزاد الذى يحتاجانه فى رحلتهما فقد وضع الزاد فى جراب ، وربط فم الجراب بقطعة من نطاق أسماء بنت أبى بكر ، وهو لذلك سُمِّيت بذات النطاقين ..

انطلقت الرحلة ، واتجه النبى – صلى الله عليه وسلم – وأبو بكر إلى غار ثور فى جبل يسمّى جبل ثور ، قضيا فيه ثلاث ليال ، وكان يبيت عندهما ، عبد الله بن أبى بكر، وهو غلام شاب ثِقفٌ لِقنٌ، أى شاب حاذق سريع الفهم، فيدلج من عندهما بسحر ، أى يخرج فى الجزء الأخير من الليل ، ويكون فى الصباح مع قريش بمكة كأنّه بائت فيها ، ويحفظ ويعى ما تكيده قريش للنبى – صلى الله عليه وسلم – وصاحبه ، فينقله حين يذهب فى المساء إليهما .

ولا ريب أن وجود شاب مثل عبد الله بن أبى بكر ، هو من التخطيط الجيّد لرحلة الهجرة ، ويصبّ فى إطار السرّية ، ومعرفة نوايا العدو و اتجاهاته ، فهو عند المهاجرين ليلاً ومع المشركين صباحاً يعرف ما يقولون ويكيدون وينقله، وقد وصفته عائشة وهى من أعرف الناس به لأنه أخوها، بأنه شاب ثقف لقن، أى يملك الذكاء والوعى والحرص .

ومثل عبد الله بن أبى بكر ، شاب آخر من موالى أبى بكر ، هو عامر بن فهيرة ويقوم بدوره فى التخطيط المحكم لرحلة الهجرة . فقد كان عامر يرعى منحة من غنم

والمنحة اسم للشاة ، وكان رعيه قريباً من المهاجريْن العظيمين لملاحظتهما، والتمويه على وجودهما فى ظل الملاحقة التى تقوم بها قريش الكافرة ..كان عامر يترك أغنامه وفى المساء يصيح بها ويزجرها لتتحرك فى الظلام ، وكان يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث فيحقق تمويهاً جيداً، من ناحية يبعد الشبهة عن وجود المهاجريْن العظيمين فى هذا المكان الذى يرعى به، ومن ناحية أخرى يوفر لهما اللبن غذاء وشبعاً .

ثم إن النبى – صلى الله عليه وسلم – وصاحبه أبا بكر قد استأجرا دليلاً ومرشداً يهديهما فى طريقهما ، ويقودهما إلى طريق النجاة ، وهو المسمى الهادى الخرِّيَت أى الماهر فى الهداية والارشاد وكان هذا الدليل من بنى الدَيّل بينه وبين آل العاص بن وائل السهمى حلفاً ، وكانت عادة العرب إذا أقاموا حلفاً غمسوا أيمانهم فى طيب أو دم وقد أمنه المهاجران العظيمان ، وقاد راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحليتهما ..ومن هناك انطلق الركب المهاجر يقوده الدليل ومعه عامر بن فهيرة ، واتخذ الركب طريقاً غير معتادٍ للسفر إلى المدينة أو يثرب ، وهو طريق السواحل أو الطريق الساحلى ، وكان ذلك زيادة فى التمويه و التخفى حتى لا يصيب الركب المهاجر أذى من قريش ، ومن رجالها الذين يطاردونه ويلاحقونه ...

لقد كانت خطة الهجرة محكمة . فالسرّية كانت العنصر الأساسى الذى حكم حركة المهاجريْن العظيمين ، وكان التمويه واتخاذ الأعوان الفاهمين الحاذقين ، والسير فى طريق غير مألوفة ، عناصر أخرى تكمل الخطة وتساعد على تنفيذها ، وكان الله من حول الجميع حافظاً ، تتدخل إرادته عند الشدّة وهو ما جرى عندما لحق بالركب سراقة بن مالك يريد به الأذى !

الهجرة إلى المدينة -٣

تواصل عائشة رضى الله عنها سرد قصة الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة ، بعد إعداد الركب المهاجر و تجهيزه ، وخروجه إلى غار ثور ، وتمويه الإقامة به واتخاذ الدليل و المرشد ،و بدء السير نحو يثرب عن طريق الساحل. يقول ابن أخى سراقة بن مالك:

جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس من مجالس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس ، فقال : يا سراقة ، إنى قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمد و أصحابه.قال سراقة : فعرفت أنهم هم . فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا . انطلقوا بأعيننا ، ثم لبست فى المجلس ساعة ، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى ، وهى من وراء أكمة، فتحبسها علىّ، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت وخفضت عاليه حتى أتيت فرسى فركبتها ، فدفعتها تُقرب بى حتى دنوت منهم ، فعثرت بى فرسى ، فخررت عنها ، فقمت فأهويت يدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمتُ بها أضرّهم أم لا ، فخرج الذى أكره فركبت فرسى ، وعصيت الأزلام ، تقرَبّ بى حتى إذا سمعت قراءة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات؛ ساخت يدا فرسى فى الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقمت بالأزلام ، فخرج الذى أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ، ووقع فى نفسى حين لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله- صلى الله عليه وسلم – **فقلت له** : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، و أخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد ، و المتاع فلم يرزآنى ، ولم يسألانى إلا أن **قال** : " **أخف عنا** " .....

....

هذه قصة أخرى فى سياق القصة الكبرى للهجرة النبوية المباركة تكشف عن أحوال النفس البشرية حين تصطرع فى داخلها رغبة الخير مع رغبة الشّر..الأمل فى الحصول على متاع الدنيا و عرضها ، و الرجوع إلى الحق و الإيمان به ...إنها قصة سراقة بن مالك الذى عرف نية قريش فى ملاحقة الرسول – صلى الله عليه وسلم – و الظفر به و تصفيته ، واستعانت على ذلك بالإغراء ، ودفع دية ،أى قدر دية رجل لمن يقتل الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- ودية أخرى مماثلة لمن يقتل صاحبه.. ويكون هذا الإغراء دافعاً لسراقة بن مالك كى يأخذ فرسه ويتسلل فى الخفاء ليلحق الركب المهاجر و يظفر به و يحصل على الدية الموعودة .

لقد سمع سراقة قريشاً تتآمر، وجاء رجل منهم، يخاطب سراقة: إنى قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمداً و أصحابه ..ويقصد بالأسودة الأشخاص الذين يراهم الناظر عن بعد . ومع أن سراقة عرف أنهم الركب المهاجر ، إلا أنه نفى ذلك الرجل ، و أسّر شيئاً فى نفسه، وقام بتنفيذه ، حيث ركب فرسه و أخذ رمحه وانطلق فى إثر الركب المهاجر ، ودفع بفرسه لتسرع به ، و تقرّبه منهم ، فلما دنا وصار قاب قوسين ، تعثرت به الفرس و سقط من فوقها ، فقام و مدّ يده إلى كنانته أى خزانة السهام التى معه واستخرج منها الآزلام، وهى القداح المخصصة لمعرفة الخير و الشّر ، أو النفع و الضرّ بمفهوم الجاهلية، وقد نهى عنه القرآن الكريم ووصفها بالفسق، قال تعالى : -

"....وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ...." (سورة المائدة من الآية ٣)

ولكن سراقة لجأ إلى عملية الاستقسام، ليعلم هل يواصل طريقه فى أثر الركب المهاجر أم يرجع . وخرج له السهم الذى يردّه عن متابعة غايته ، وهو أمر يكرهه ، فخالف القداح أو الأزلام ، وتابع السير فى أثر المهاجرين ، و أخذ يحثّ فرسه حتى سمع الرسول-صلى الله عليه وسلم- يقرأ دون أن يلتفت. أما أبو بكر -رضى الله عنه-

فكان كثير الالتفات ، خشية أن يصيبهم مكروه أو أذى ممن يتربصون بهم ، وهو ما يدل على إخلاص الصدّيق و حرصه الشديد على النبى – صلى الله عليه وسلم .

بيد أن الفرس ساخت مرة أخرى، و غاصت أرجلها فى الأرض، وسقط سراقة من فوقها، ولكنه نهض وزجرها فقامت وانتشر غبار ساطع من يديها الأماميتين أى قدميها الأماميتين ، ملأ السماء كأنه الدخان : فعاد سراقة إلى أزلامه مرة أخرى واستقسمها فخرج له الذى يكره ، أى العودة عن متابعة الركب المهاجر..وهنا تتغيّر نفسيته و يتحول من الرغبة فى كسب الجائزة التى قررتها قريش ، إلى شىء آخر.. هو الإيمان بالنبى – صلى الله عليه وسلم و الدين الذى أتى به .. فإذا به ينادى الركب المهاجر بالأمان ، فيتوقفوا حتى يصل إليهم ، و يخاطب النبى – صلى الله عليه وسلم – **قائلاً**: إن قومك قد جعلوا فيك الدية – أى مائة من الإبل عن كل شخص – ثم أخبرهم ما يريد الناس بهم أى ما تريد قريش بهم من أذى و ضرر ، و عرض عليهم الزاد و المتاع ، فلم يعاتبه النبى – صلى الله عليه وسلم –وصاحبه ، ولكنه قال له :

" **أخف عنا** " ، أى لا تذع سرّنا حتى لا تعلم قريش بأمرنا .

فسأله أن يكتب له كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب له على رقعة من أدم أى جلد ؛ الكتاب الذى أراد ، ثم مضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

إن قصة سراقة عن الإعجاز الإلهى ، فى مواجهة مخططات الكفر ، و التدخل لنصرة النبى – صلى الله عليه وسلم – فى وقت صعب و حرج ، و تأكيد على صدق الرسالة والرسول ، وهو ما جعل الفرس تسوخ فى الأرض مرتين ، و تملأ الدنيا غباراً ، و يشعر سراقة أن الدين الجديد سيظهر على الناس .

الهجرة إلى المدينة -٤

و تستمر عائشة -رضى الله عنها- فى سرد قصة الهجرة النبوية المباركة بعد أن تحوّل سراقة بن مالك و عاد من حيث أتى ، **فتقول :**

قال عروة بن الزبير رحمه الله : فلقى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشسام ، فكسا الزبير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – و أبا بكر ثياب بياض ، ويسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرّة ، فينتظرونه حتى يردهم حرّ الظهيرة ، فانطلقوا بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا إلى بيوتهم ، أو فى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله – صلى الله عليه وسلم – و أصحابه مُبَيّضين ، يزول بهم السرابُ ، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته :

يا معشر العرب ، هذا جدّكم الذى تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بظهر الحرّة ، فعدل بهم ذات اليمين ، حتى نزل فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يحيّى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأقبل أبو بكر حتى ظللّ عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عند ذلك ....

....

هذه مرحلة أخرى من مراحل قصة الهجرة النبوية المباركة إلى المدينة المنورة ، تأتى بعد مراحل المطاردة و الملاحقة التى عاشها الركب المهاجر ، وبعد حصار بيت النبى -صلى الله عليه وسلم- ليلة الهجرة، وخروجه من قلب الحصار المشدّد وفقا للإعجاز الإلهى والنصرة الربانية .

"وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ"

(سورة يس الآية ٩)

كانت الرحلة مثيرة ، فقد تتبع المشركون الركب المهاجر ، وهو يختبئ فى غار ثور، و تتبعوه وهو يمضى على طريق السواحل غير المعتاد عن طريق سراقة بن مالك، ثم جاءت المرحلة الأخيرة التى شعر فيها الركب بالأمان و هو يقترب من المدينة ، ويصل إلى مشارفها ...

فى المرحلة الأخيرة، لقى الركب المهاجر ركبا آخر من المسلمين عائداً من رحلة تجارية كانت فى الشام، وكان فى هذا الركب الزبير بن العوام، الصحابى الجليل المعروف الذى قام بكسوة الرسول-صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر -رضى الله عنه- ثياباً بيضاء،تكريما لهما وتقديراً..

نشعر آنئذ أن أحداث القصة بعد أن وصلت إلى ذروتها أخذت تنحّل سيئاً فشيئاً وتتبين ملامح المستقبل ، و نقترب من المدينة ، حيث علم أهلها بخروج النبى -صلى الله عليه وسلم- من مكة، وقدومه إلى المدينة ، وكانوا يترقبون وصوله للترحيب به ، ونيل شرف استقباله.. كانوا يذهبون كل صباح إلى الحرّة أو الأرض السوداء ينتظرونه حتى الظهيرة ، حيث يشتد الهجير فيعودون إلى بيتهم هرباً من الحر بعد طول انتظار..على أمل أن يكرروا المحاولة فى اليوم التالى ..

بيد أن رجلاً من اليهود كان قد أوفى على أطم من آطامهم ، أى طلع إلى أعلى حصن من حصون اليهود لأمر ما ، يريد أن ينظر إليه ، فإذا به يبصر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – و أصحابه فى ثيابهم البيضاء ، فى قلب السراب ، فلم يملك نفسه إلا أن قال بأعلى صوته :

يا معشر العرب ، هذا جدّكم الذى تنتظرون ، أى حظكم و صاحب دولتكم الذى تنتظرونه وشاءت إرادة الله أن يكون اليهودى هو أول من يرى النبى – صلى الله عليه وسلم – و أصحابه و يبشر المسلمين فى المدينة بقدومه ، و ينطق بما حاول اليهودى إخفاءه فيما بعد، حين يشير إلى أنه الرجل الذى ينتظرونه ويتوقعونه ويعلقون عليه كبير الآمال ، وإن لم يشر إلى نبوته و رسالته ...

كانت بشارة اليهودى بمقدم الرسول – صلى الله عليه وسلم – علامة فرح و ابتهاج ، حيث نهض المسلمون إلى سلاحهم، وخرجوا إلى ظهر الحرّة للقاء الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وحين استقبلوه ، انعطف بهم نحو اليمين لينزل فى بنى عمرو بن عوف ، و ليجتمع الأنصار حوله لتحيته و إعلان بهجتهم بقدومه .

وفى هذا الموقف يتجلى جانب الوفاء و الحب الذى يملكه أبو بكر رضى الله عنه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما تجلى فى مواقف سابقة ولاحقة ، فقد جلس الرسول – صلى الله عليه وسلم – صامتا ، وأخذ من يأتى من الأنصار ممن لم ير الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقام أبو بكر ، وظلّله بردائه ليحميه من الشمس و حرّها ..وعندئذ عرف الناس أن من يظلله أبو بكر هو الرسول -صلى الله عليه وسلم .

وفى بنى عوف ، كانت بداية جديدة ، وعالم جديد .

الهجرة إلى المدينة -٥

تختتم عائشة – رضى اللّه عنها – قصة الهجرة المباركة ، بعد وصول الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – إلى مشارف المدينة ، و نزوله فى بنى عمرو بن عوف فتقول :

"فلبث رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذى أسسّ على التقوى ، وصلى فيه رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – ثم ركب راحلته فصار يمشى معه الناس ، حتى بركت عند مسجد الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – بالمدينة ، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربداً للتمر لسهيل و سهل غلامين يتيمين فى حجر سعد بن زرارة ، فقال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – حين بركت راحلته :

" **هذا إن شاء اللّه المنزل** ".

ثم دعا رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقالا : لا بل نهبه لك يا رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فأبى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً، وطفق رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- ينقل معهم اللبّن فى بنيانه ويقول:

هذا الحمالُ لا حمال خيبر ... **هذا أبرُّ ربنا و أطهر**

اللهم إن الأجر أجر الآخرة ... **فارحم الأنصار و المهاجرةٌ**

صدق رسول اللّه

....

هذا ختام قصة الهجرة النبوية المباركة إلى المدينة المنورة ، وهو ختام يقدم لنا الأساس الأول فى بناء المجتمع الإسلامى بل الدولة الإسلامية ، وهو المسجد فى الإسلام ليس مجرد مكان يلتقى فيه الناس فرادى أو مجتمعين لأداء الصلوات الخمس كل يوم وليلة ولكنه شعاع النور و الخير و الوحدة فى المجتمع الإسلامى .

لقد قضى الرسول – صلى اللّه عليه وسلم ما يزيد عن عشرة ليال فى بنى عمرو بن عوف، ثم كان أول عمل قام به فى دار الهجرة الجديدة هو بناء المسجد الذى أسسّ على التقوى . وقد أشار إليه القرآن الكريم فى مواجهة مسجد آخر ، هو مسجد الضرار و الكفر

obeikandi.com

الذى يفرّق المسلمين و تحكمه وسوسات الشيطان و الصد عن سبيل الله أو محاربة الله ورسوله ، مع أن أصحابه يزعمون أنهم يقصدون الخير.

قال تعالى :

" وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ " (سورة التوبة الآيات ١٠٧-١٠٨)

كان هذا المسجد هو مسجد قباء ، أول مسجد بناه الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى المدينة وصلى فيه..ثم ركب راحلته و الناس يمشون معه، حتى بركت عند المسجد النبوى الحالى بالمدينة ..

وقصة بناء هذا المسجد تقدم لنا درساً فى العطف و الرحمة و الشفقة التى تحلّى بها الرسول الأعظم -صلى الله عليه وسلم- لقد بركت الناقة عند مكان المسجد، وكان يصلى فيه رجال من المسلمين . و المكان كان مربداً للتمر ، أى يجفف فيه التمر ، و يملكه غلامان يتيمان اسمهما "**سهيل و سهل**" يعيشان عند سعد بن زُرارة ، وقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن المكان عندما بركت فيه راحلته: "**هذا إن شاء الله المنزل**" ولنتأمل استخدام الرسول-صلى الله عليه وسلم- صيغة المشيئة، ليعلمنا أن أمر المسلم مرتبط دائماً بالله فى حركته وسكونه ، وعمله وعبادته، فهو يأخذ بالأسباب و يعتمد على ربه، ثم يكل المشيئة إليه و لتكن النتائج ما تكون، فهى مقدرة بقدر الله الذى لا يتخلف .

لقد استدعى الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – الغلامين ، وطلب منهما بيع المربد ليقيم عليه المسجد ، و لكنهما رفضا ، وقالا للرسول – صلى الله عليه وسلم – بل نهبه لك ، و لكنه أبى ورفض أن يقبل الهبة ، و أصر على شرائه منهما ، ثم بناه .. ومن ثمّ ، كان الرسول القدوة يضرب المثل فى رحمته و شفقته و بره بهذين الغلامين اليتيمين ، و إصراره

على ابتياع الأرض و عدم قبولها هبة ..كما نراه – صلى الله عليه وسلم – يضرب المثل و القدوة فى مشاركته مع الصحابة فى بناء المسجد و نقل الطوب اللبن الذى صنع من الطين الذى لم يحرق ، وإنشاوه معهم بما يخفف عنهم عناء العمل ومشقته .

إن قصة الهجرة تكشف معانى كثيرة . وتقدم دروساً عديدة ، فى مقدمتها أن الإيمان الحقيقى يفرض على صاحبه التضحية فى سبيله، مهما غلت هذه التضحية و ارتفعت تكاليفها مثل مفارقة الوطن والاهل والأصحاب.كما تخبرنا هذه القصة أن الإيمان الحقيقى موعود أصحابه بالنصرة الإلهية و الدعم الربّانى .

قال تعالى :-

" إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" **(سورة التوبة الآية ٤٠)**

ثم إن أبرز دروس هذه القصة الأخذ بالأسباب و ضرورة التخطيط والسرّية عند اللزوم وهو ما فعله الرسول –صلى الله عليه وسلم– كى ينجح عمله وتتحقق خطته فى الهجرة .

أيضاً ، فإن إخلاص الصاحب و صدقه و محبته من أهم العناوين فى علاقة أبى بكر – رضى الله عنه – بالرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وهى نموذج لكل علاقة تقوم على المحبة فى الله ومن أجل الله ، وأنعم بها من محبة . وبالله التوفيق .

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى .